الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

موارد أهل الصفا

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩-١٩٣٧ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

خصوصيات أهل الصفا وآداب أهل الوفا

أهل الصفا قوتَهم من القدس، فهم مع الله وعند ربهم، سارعوا إلى العبادة تعظيماً لأمر الحاكم جل جلاله، وبهجة بالقيام بين يديه، عاملين بمحابه ومراضيه مع رعاية إقامته إياهم.

وأهل الوفا قوتَهم روحانى من الملكوت، وأنسهم بالمجاهدة الفادحة ليتجردوا من غواشى الحس الحاجبة، ورعونات النفس المنازعة للأحكام.

نهاية مقامات أهل الوفا: صفاء مشاهد التوحيد من الشوب، وبدايتهم مجاهدة النفس، لتنطبع على الخير، وتسارع بالفطرة إلى ما يحبه الله تعالى ويرضاه، حتى تفوز بشميم عبير أهل الصفا الذين أثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢.

فالمجاهدة لا تفارق المؤمن حتى يفارق الحياة الحيوانية، وإن بلغ أرقى مقامات الشهود لأنه ما دام فى حياته الحيوانية، فهو فى وطن التكليف والتعريف، قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب ٢٣، والمجاهدة فضل الله تعالى، فإن الحى القيوم يقيم من أحبهم مقام أبدال رسله صلوات الله عليهم، وقد أقام الله المسلمين مقام رسله فى نزل الوفا والصفا فهم عماله المخلصون.

وإنما يمتاز أهل الصفا بشهود الحكمة فى الأحكام عند القيام بها، وتفريد الحق جل جلاله بالقصد دون غيره، ورؤية سواطع أنوار جماله وجلاله وكماله، خصوصاً عند القيام له، كما قال تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ النساء ١٣٥، فالمسلم قَوَّام لله بالقسط يشهد لله ولو على نفسه، وهو فى وطن كون الفساد لا ينفك مجاهداً، ولو رفع الله تعالى فيما بينه وبينه الحجاب.

أما ما يحصل من أحوال أهل اليقين، من الإقبال بالكلية على الله تعالى، تجريداً من الدنيا وفراراً من الخلق وأُنساً بالوحدة، ومن صرف الهمة على طلب العلم النافع والقيام بالعمل الرافع، أو من العلوم التى يفتح الله بها عليهم، بما لا يذوق معناها إلا من زكت أنفسهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ الشمس ٧-٩، فذلك مما تنتجه المجاهدات، وإن لم تكن علة له، فإن تلك النعم والإحسانات فضل الله تعالى، تفضل بالفضل منه، والمجاهدة نفسها هى فضل الله تعالى، والإنكار على أهل الاستقامة الذين لم يخرجوا عن أحوال رسول الله ولا عن آدابه، برهان على جهل المنكر.

أما من فارقوا آداب الشريعة وخالفوا منهج الحقيقة، فإن كانوا ممن سلبت عقولهم، وزالت موازينهم فهؤلاء يرحمون، والأولى حجرهم بحجرات رحمة بهم حتى يحصل لهم الشفاء، أما من تكلفوا من أهل العقل هذا الحال حتى صار عادة لهم، وتلذذوا بالأعمال الشيطانية، فهؤلاء ليسوا من أهل الطريق فى شئ، والطريق وأهله براء منهم، وإن موسى السامرى أضل قومه مع وجود كليم الله ورسول الله هارون – عليهما السلام – وأنبياء الله من بنى إسرائيل.

وكل مسلم يحب الله ورسوله، يجب أن تكون غيرته لله ولرسوله ﷺ، دفعاً لشرر شرور هؤلاء المُضلين، وما من زمان من الأزمنة إلا وظهرت به تلك المفاسد، والله يتولى الصالحين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أهل الوفا قصدهم روضات جنات ... أهل الصفا قصدهم مجلى كمالات
والعاشقون جمال الله قصدهمو ... كشف الحجاب بمعنى سر آيات
أهل المحبة بالمحبوب شغلهمو ... ذكر وفكر حضور فى البدايات
أهل العزائم للمحبوب قد رفعوا ... لم يلههم عنه أعلام الكرامات
فروا إليه من الدنيا وآخرة ... حتى رأوه بلا أفق وحيطات
أنوارهم أشرقت للروح ظاهرة ... أسرارهم أسكرت أهل المقامات
كم مبعد قربوه من معارفهم ... حتى تجمل منهم بالعنايات

من نظرة يرتقى المطلوب مرتفعاً ... قدس الجلالة فى حلل النهايات
كم جاهل نال علماً من مجالسهم ... أضحى حلياً علياً بالإشارات
من نظرة منهمو تحيا القلوب نعم ... يرقى المريد إلى ملكوت جنات
كم مذنب ومسئ نال مغفرة ... لما تقرب منهم بالمحبات
أضحى ولياً له قلب ومعرفة ... يرى النبى عياناً حال خلوات
كم أحمق جملوه من لطائفهم ... بالحلم والعلم فى حال المناجاة
عين الرءوس ترى أنوار ظاهرهم ... عين النفوس ترى غيب الكمالات
أهل العزائم أفراد مجملة ... بالسر من خير رسل الله بالذات

آداب المجالسة مع أهل الصفا

لا تجلس فى صفاء حالك مع من لا يشاكلك فإنه حجاب، ولا تجلس فى أنات المزج مع أهل الصفا فتحجبهم، وتكلف الصفا مع أهل الصفا إن لم يكن ثم صفا، حتى لا تعكر عليهم أحوالهم، وإن كان لابُد من عرض حالك فليكن بقلبك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الحجرات ٥، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ المائدة ١٠١، كما أنك لا تقوم لله بعمل إلا فى صفاء وتجريد مما سواه ومن سواه حتى تذوق لذة العمل لله بالله، وإذا أضر بك أمر فافزع إلى الصلاة ليزول من قلبك ما ألم به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ العنكبوت ٤٥، إن الله أعطى أكمل العطايا فهو المتفضل ولا استحقاق لك فى شئ، وإن مَنَع فهو المتفضل ولا استحقاق لك فى شئ، فهو المتفضل فى منعه وإعطائه.

أهل الكمال

استحضار حضرة الغيب فى الشهود صعب، إلا على أهل الوجود، والسلوك نار المجاهدات، والوصول نور المشاهدات، والمطلوب لا نهاية له، وإذا أردت صافى الشراب فالزم هذا الجناب.

عجبت لمن أُهل للكمال ويميل إلى النقص، ومن سُخر له كل شئ ويسخر لأدنى شئ، ومن خلقه الله ليكون خالصاً له، فمالت به دناءته إلى الحضيض الأسفل، إذ ليس بينك وبين الكمال الذى تكون فيه ـ ليس لك رب إلا الله ـ إلا أن تنظر نظرة فى نفسك وفيما حولك، أو تسوح بنفسك الطاهرة فى ملكوت السماوات والأرض، وهى لمحة بها تقع الصُلْحَة، وكيف تبخل على نفسك بما به يدوم أُنسك؟!

يفرح الإنسان بمال يقتنيه وهو يجمعه ويجهل أنه يُرديه، ولا يفرح بأن يتقرب إلى الله قرباً إلى مقعد صدق يعليه، وليس بين الجنة والنار إلا نظرة بعين السر تستبين بها الحقائق، وتظهر بها غوامض الآيات للأعين جليات.

محاسبة النفس

المريد أعلم بنفسه من كل من سواه من الخلق، وهو الأستاذ المرشد لها فى أكثر أحوالها، لأن الحق ظاهر لا يخفى، والباطل معلوم لا يجهل، وخصوصاً لطالبى الحق، وإنما الأستاذ أو المرشد يكون لكشف ما خفى من غوامض الحكمة وأسرار الآيات، وبيان ما يحتمل التأويل ويبعد عن الفكر من النصوص، وأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما خفى من مناهج التحقيق، فعلى المريد الصادق أن يحاسب نفسه محاسبة العالم بخفاياها، الذى لا يغتر بشئ منكشف له من نفسه من بواعث الحظوظ والأهواء، والآمال المخالفة للحق، وزهرة تلك العاجلة، فإن الحق إذا مزج بشئ من الباطل صار كل الأمر باطلاً، والأصل فى الأعمال والمراقبات والمجاهدات والمشاهدات حسن الإخلاص لذات الله تعالى، وكمال الصدق فى التوجه إليه، مستحقراً كل حظ عاجل وشرف معدوم وعز دنيوى ونعيم أخروى فى جناب الصدق فى العبودية لله وحسن الإخلاص لذاته سبحانه وتعالى، تاركاً لكل ما يلائم نفسه وهواه وحظه فى هذا الجناب، حتى يرى أنه مخطئ إذا خطر على قلبه خاطر من أمل يخالف حسن الإخلاص، ولو فى نيل أرفع المراتب الدنيوية والمنازل الكونية، وشعر أن ذلك ربما أوحش قلبه بعد أنسه بالإخلاص، ولو لم يكن فى ذلك ذنب شرعى ومال إليه لا يصدق عليه أنه مريد للحق، لأنه رَجَّح جانب حظه. فالمحاسبة للنفس لا تكون إلا لمحب صادق مال

إلى الخلاص من مهلكات نفسه، وزهد شرف الدنيا، ولم يتجمل للخلق بل سعى أن يتجمل للخالق بما شرعه سبحانه، ولم يهتم بشأن الخلق، وهذا من علامات العناية من الله تعالى بالعبد.

السالك أعلم بأمراض نفسه

الإنسان السالك من شغله تطهير نفسه وجلاء أدرانها عن النظر فى عيوب الناس، وإنه على الحقيقة أعلم بأمراض نفسه علم يقين لا شك فيه، لأن الحلال والحرام لا يخفيان على أحد من الخلق، وخصوصاً أمراض القلوب التى يشعر الإنسان بها بدون منبه كالحسد والشح والهوى والعلو فى الأرض بغير الحق والطمع فى غير مطمع، والعاقل من يجاهد نفسه فى ذلك ويتحزنها (يوجعها) فى جليل الحوادث وصغيرها، حتى يعلم ما فطرت عليه نفسه من الأوصاف الجميلة والخصال القبيحة، فإذا تحقق من نفسه سعى إلى عرض تلك الأمراض على طبيب حاذق يعالج له نفسه، ولا طبيب أنفع من العزم والصبر ومرشد تقى عالم بالداء والدواء، ولكن الطبيب لا ينفع علاجه إلا إذا كانت النفس تميل إلى الحق راضية به، مطمئنة إليه راغبة فيما عنده راهبة من قهره وعظمته، وبذلك ينفع الدواء، والمريد هو المنفذ لأوامر الحكيم فى السر والعلن، وهو أولى بنفسه من غيره.

مراتب نفوس السالك والمشتاق والمحب

قد تنمحى ظلال الحقائق السافلة عن جوهر النفس، حتى تسكن إلى حالتها التى اقتضتها نشوة راح المحبة، فيترك الإنسان المجاهدة معتقداً أنه تخلص من الحقائق المتممة له التى هى من العالمين، ومعلوم أن الحس والجسم أقوى تأثيراً على النفس مما يرد عليها من عالمها المجرد، فإذا سكنت النفس وأهملت المجاهدة، أسرعت تلك الظلال على جوهرها الآنس بصفاته، فيستقبل جوهر النفس تلك الظلال وفيه ساطعة نور ملكوتى شعشعانى، فتسرح النفس فى تلك الظلال مقتبسة منها آياتها، فإذا خاضت عباب هذا البحر ـ بحر الظلمات ـ حصل لها التيه فيه، فإما أن تأنس بما لا يجانسها فتحصل الغيرة، وإما أن تصعق مما هى فيه فلا تجد سبيلاً للتخلص، ففى تلك الغيرة تمديد المعونة الإلهية لأهل المحبة،

فتخرجهم من وحلة التوحيد إلى فضاء التنزيه والتفريد، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ البقرة ٢٥٧، وهذا خصوصية أهل المحبة.

أما أهل العلم والرياضة فقد تلمح عيون أنفسهم معالم التصريف فتركن إليه، أو يتوالى عليها زينة الحياة الدنيا وزخرفها فيميلون إليها، قال ﷺ: (يد المؤمن فى يمين الله كلما وقع أقامه)، وقال ﷺ: (أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك)، وقال ﷺ: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس).

وأهل المحبة تزعجهم نيران المحبة عند كل فِترة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ الأعراف ٢٠١، وقال ﷺ: (اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته). لذلك نرى أهل المحبة إذا غشيتهم ظلال الكائنات وسعدوا بالميل أيقظتهم واردات الحق، أو إشارات الإلهام، أو برهان الرب جل جلاله، قال تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ يوسف ٢٤.

وحكمة ذلك أن الحقائق لا تُفقد ولكن تتعطل عن مقتضياتها، فقد تعطل النفس بقوة سلطان الحس والجسم، وقد يعطل الجسم والحس إما بزواجر العناية والتوفيق، وإما بإشراق أنوار البصيرة، وأهل التمكين أقل مراتبهم النفس اللوامة وأعلى مراتبهم الروح القدسية، وغيرهم أعلى مراتبهم النفس اللوامة وفوقها النفس المطمئنة فالروح القدسية، وأدنى مراتبهم النفس الأمارة بالسوء، والحقائق لا تخفى على ذى بصيرة، والسالك على الصراط المستقيم حذر، والمشتاق منزعج، والمحب ساكن القلب إلى حبيبه.

نهايات الواصلين وكمالات المتمكنين

خير غذاء يتغذى به المؤمن "العلم"، حتى يحصل اليقين، فيكون له خير غذاء بعد اليقين "الفكر"، حتى تحصل له السياحة فى الملكوت، فيكون خير غذاء له "الذكر حضوراً" لأنه ينفعه، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الذاريات ٥٥، حتى تحصل الرعاية حضوراً، ولديها يكون خير غذاء الشهود بعد الذوق لأن من ذاق سلا غير ما

ذاق حتى يتخلق بالأخلاق، ولديها يكون خير غذاء الاتحاد بالخلاق جل جلاله، وليس بعد الاتحاد مقام إلا الفضل الأكبر، منزلته البواده العلية التى تصول على القلب من الرب بعين اليقين أو حقه، وهو الفرد الذى انطوت النبوة بين جنبيه، أُهل لحُلة الوراثة بحسب سابقة الحسنى، وأكملها الحلة المحمدية مجملة بالحلى الأحمدى قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات ١٦٤، وهى نهاية الواصلين وكمالات المتمكنين، ولا نهاية لتلك الكمالات سر ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الذاريات ٥٠، بداية، ونور ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ البروج ٢٠-٢٢، قرآن مجلى الذات فى لوح هيكل المطلوب للذات، المحفوظ بالعصمة حقاً أو بالحفظ رفقاً، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران ١٠١.

المتمكن

يتجاوز بادية الإلحاد عبد مُراد اصطنعه الله لنفسه، ورضى عن الله فى قدره وأسلم له وجهه لانشراح صدره، وهذا هو المتمكن وحاله بين الوفا والصفا، فهو عامل بظاهره وفاء بالعهود، وحاضر بباطنه فى غيبته عن الوجود، محفوظاً بسياج العصمة فى حصون الحدود ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ البروج ٢٠.

مقتضيات البشرية عند أهل التمكين

مقتضيات البشرية عند أهل التمكين بها الفضل المكمل للرتبة، والشهود العينى الذى يفاض بلا قربة، وكم من نائم متحقق بالعبودة، وآكل مشاهد فى أكله وجوده، وإنما مقتضيات البشرية رموز لغوامض الكنوز، فهى النجب الموصلة إلى المقام بأسرع مما توصل القربات من المجاهدة بالصيام والقيام.

أهل المحبة وأهل الإنعام

أهل المحبة يؤانسون فى مضاجعهم، فكيف وهم مولون وجوههم إلى الله فى تواضعهم! أهل المحبة ووجهوا بالوجه الجميل، فلم تزغ أبصارهم ولم تطغ، وأهل الإنعام طمعوا فى نيل ما شهدوا له مثيلاً، فسارعوا إليه وسواه لم يبتغوا، وشتان بين من واجههم الله بوجهه

فسكنت إليه نفوسهم، وبين من شوقهم إلى النعيم فصح به أنسهم.

الأنس

الأنس على بساط المنادمة حظوة علية، وفيها يظهر أهل الكمال، ويخشى أهل الوصال، والعلم بما فيها من التنزل الجمالى والظهور الرحمانى بعلمهم بقدر أنفسهم، ولأن المتفضل ملك مطلق، عناية بك، وإيناساً على بساط منادمته على قدرك ومنزلتك.

فانبسط إذا انقبضت سروراً بما واجهك به من أعظم نعمه عليك، حيث اعتنى بك وقربك به، واجعل البسط فى قبضك حصن أمنك، وانقبض فى بساط سياج أدبك، وكن أكمل الناس تشبهاً بالمرشد فى تلك المقامات ليدوم لك الصفا، والله أعلم.

* * *

الذكر والذاكر والمذكور

الذكر فى مقام الأنس

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الكهف ٢٤.

لطيفة الروح فى الإنسان – إن لم يكتب الله تعالى الإيمان فى قلوبنا ويؤيده ويحببنا فى الإيمان – لا تقوى أن تنفذ من ظلمات الحس وظلال الوهم والخيال، وظلمات النفوس من الأمارة بالسوء والسبعية والشهوانية، ولذلك فإن كل ما تفضل الله به علينا ما يشغل به تلك القوى بزخارفه وزهرته، فيحجب الروح عن مطالعة الغيب المصون فى تلك الحقائق، فإذا تفضل الله تعالى على العبد بالهداية، جعل له نوراً تنكشف به الحكمة فى إيجاد تلك الأنواع المبينة فى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ الذاريات ٥٦، فيشهد السالك بعين بصيرته ما فى وجود الكائنات من أنواع القدرة وأسرار الحكمة، فكانت لما فيها من مكنون العلم وخفى الأنوار، ولديها يذكر الله حضوراً وشهوداً ووجوداً، وهو الذكر الحقيقى الذى به يذكرنا، يقول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الذاريات ٢٤، الخطاب لرسول الله ﷺ

والمراد به أمته، لأنه ﷺ حاضر ويتلقى القرآن من لدن حكيم عليم، وإذا تفضل الله على العبد بهذا المقام العلىّ، جذبته محبة الله تعالى إلى مقامات القرب ومنازلات الحب، فآنسه على بساط مؤانسته، وأكرمه على موائد كرامته، قال تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ الكهف ٢٤، ولا ينسى الإنسان تلك الحجب الكثيفة بل ولا الحجب اللطيفة إلا بالجهاد الفادح، ولا جهاد إلا بسابقة الحسنى، والجهاد اسمه معلوم ومسماه مجهول، فإن الجهاد جهاد هذا المقام، وإن كان يدُك الأطواد إلا أنه أُنس وبهجة، والأُنس بالله أعلى مقامات المقربين، وفيه تكون المواجهة والمحادثة، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة ١٥٢، ولا يكون الذكر ذكراً ينال الذاكر منه ذكر الله تعالى إلا فى مقام الأُنس، ومن أنس بالله نسى ما سواه ومن سواه، فيرفعه الله من العندية إلى اللدنية.

منازل الذاكرين

قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة ١٥٢.

متى ذكرته فأنت محب، ومتى سمعت ذكره فأنت محبوب، والخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك، وما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك.

الذكر ذكران ذكر القلب ولسانى ... هما مقاما شهودى دار رضوانى
فذكر فؤادى رؤية الوجه ظاهراً ... وباسم الذى أهواه ذكر لسانى
وعند شهود الوجه بالقلب يحلو لى ... شراب الصفا من حضرة القرآن
وأذكره لا عن حجاب وغفلة ... ولكنه ذكر الفتى الروحانى
فروحى تشهده وكل جوارحى ... ترتل هذا الاسم حال عيان
ولم يك ذكرى ذكر من غاب أو سها ... ولكن هيامى للحبيب دعانى
ذكرتك يا من قد رأتك بصيرتى ... وأسمعتنى ذكرى بنغمات رحمان
فكنت أنا المذكور فى حضرة الخفا ... يردد ذكرى واحد صمدانى

وهـذا هـو الـذكـر الحقيقـى يـا أخـى ... به تـظهـر الأنـوار للإنـسـان
لـسـانـى يقـول الله والقلب شـاهـد ... جمـالاً مـصـونـاً جل عن إمكـان
لـسـانـى يقـول الله والقلب حـاضر ... بحـضرة مـذكـور بقـول لـسـان
لـسـانـى يقـول الله والـوجه مـشرق ... بـأنـواره من ظـاهـرى وجنـانـى

الذاكر هو المذكور

قال ﷺ فى الحديث القدسى عن الله عز وجل: (لا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت لسانه الذى ينطق به ..الخ). فيقتضى أن يكون الذاكر هو المذكور بفناء العبد، أى: فناء الجهة البشرية عند التجلى، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ البقرة ١٤٨.

وفى الحديث القدسى: (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى)، فالنفس عبارة عن الوجود والذكر عبارة عن الشهود، وذكره لعبده مدده الذى به السعيد مسعود، قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ الحشر ١٩، وفى الحديث: (من عرف نفسه عرف ربه)، فقدم فى الحديث معرفة النفس على معرفة الرب، والمراد بها الوجود، فمن عرف وجوده أنه وجوده فقد عرفه بلسان الخصوص، وبلسان العموم من عرف نفسه بالذل عرف ربه بالعز، ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى، (ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملأه)، أى ومن ذكرنى فى ملأ ناظرين بالفرق (الكثرة) ذكرته فى ملأ مشاهدين بالجمع (الوحدة)، فهم عبيد حضرة الإطلاق، أولئك شهدوا فى نظرهم الكثرة فحجبوا عن شهود الوجه، لأن شهود الخلق من غير حق، فرق أول وضده الجمع، والفناء فى الله بالكلية جمع ثان، وشهود حق وخلق معاً فرق ثان، وهو محط أهل الكمال، فمن رأى الخلق ظاهراً والحق باطناً كان ذا عقل، ومن كان بالعكس كان صاحب عين، وصاحبها هو الذى يرى الحق فى الخلق والخلق فى الحق، ولا يحجبه شهود أحدهما عن الآخر.

❊ ❊ ❊

أنوار العرفان وبوارق الاتحاد

أنوار العرفان تسطع فى الغياهب، وبروق الاتحاد تلمع فى بادية الإلحاد، فتمحق الأعداد وتستر الأفراد، ويكون المبصر بها برق بصره وخسف قمره وأسفر صباحه وقاربت الشروق شمسه، وهو فيها إما آنس مؤانس أو قرين مجانس، وإنما يكون الأُنس بنفخة القدس والمجانسة الجلية للروح الملكية.

شتان بين المقام والإلهام

إذا تكلم فأنطقك، سكت فى نفسك عنك ونطقت به لغيرك، فسمعت آذان الأرواح من الفتاح، فكنت وأنت فى رتبة إنسانيتك قائماً بقيوم ناطقاً بمبين، فإذا أسدلت الستار على مبعث الأنوار، فأنس فى هذا المقام بالعبدية، حتى تسمع منه لك فوق ما أسمعت غيرك، فتكون مستمداً من روحانية الروح الكلية، مجملاً بجمال أهل خاصة خاصة الخصوصية من فيض وراثة الحبيب فى مقام قريب.

إن لم تكن بلغت هذا المقام فإنما هو إلهام ينفعك الله به وينفع غيرك، وحصونه الأدب ومفاتيحه حب الرحمة، وغيوثه مطابقة الفرد والاتباع للحجة القائمة، أو لخاتم المرسلين ﷺ.

الدعوة إلى الله بمقدار المدعو لا الداعى

إذا كان لابد فى استبانة الآثار من شمس النهار، وأنت تعلم مكانتها علواً، وقدرها إضاءة وسمواً عن أن تواجهها الأبصار، فكيف بالشمس التى تبين الآيات والأنوار للخيرة الأطهار!

ينكسف العقل إن واجهها عن أن يدركها، كما ينكسف نور البصر عن مواجهة الشمس، وشتان بين كوكب يبين الآثار، وبين مثل أعلى تشرق به على القلوب والأرواح الأنوار، وليست كل عين تنظر تلك الأنوار وإنما هى نعمة الله وفضله للأخيار.

استر نعمة اختصك الله بها عمن سلبها منه، واحفظ أدبك من أن تكون سبباً فى تكذيب الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ الأنعام ١٠٨، فلا تواجهن غير المتمكن بما لا تقوى عليه الأرواح مما أعده الله من فيضه الأقدس، فلا تبح به لأهل العقول ممن اكتسبوا العلوم، وأعلن شكر الله على ما تفضل به عليك وما أوصله من الخير إليك فى الدعوة إلى الله بمقدار من تدعوهم لا بمقدارك، وانظر إلى الحكمة فى وعد الله عباده بنيل حظوظهم وشهواتهم تنزلاً على قدر عقولهم، ووعيدهم بحرمان المشتهيات واللذات إذا خالفوا رحمة ربهم، فالوعد ينشرح به صدر السالك، والوعيد ينجذب به قلب المُنكر، وإلا فالجبار يضع قدمه فى النار فتقول: قط قط، ذق تلك الإشارة تفهم سر الوعد والوعيد، وأهل الله على بساط الأنس مع الله وكلهم خشية ورهبة، وافهم حديث عمر الموقوف عليه (نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه)، وافهم قول أبى بكر بعد أن أدخل الجنة يقيناً بخبر الصادق: (أنا لا آمن مكر الله ولو إحدى رجلى فى الجنة)، لم يرد ﷺ بالمكر إلا عواطف المحبة ولطائف المودة وواسع الحلم، وللرجال أذواق فى إشاراتهم، وشهود فى تلميحاتهم، أسال الله أن يذيقنا هذا الشراب الطهور، إنه مجيب الدعاء.

❊ ❊ ❊

الفصل الثانى

منح ومشاهدات إخوان أهل الصفا ومعاملتهم

الحكمة والحكيم

الحكمة جواذب تجذب النفوس الصافية إلى الحكيم جل جلاله، وهى سواطع أنوار النفخة القدسية شوقاً إلى حضرة القدوس، وإنما يؤتى الحكمة لينتفع بها فى عصره من آتاه الله الحكمة، وإنما ينتفع من أوتى الحكمة بالاتحاد الحق، وينتفع أصحابه فيه بالخير الكثير، ومتى تحصل المستمعون للحكمة على الخير الكثير حصل منهم الذكر الكثير، ومتى فازوا بالذكر الكثير تحققوا بشهود الواحد جل جلاله الماحى للكثرة، وهو الخير الحقيقى بالذات،

ولا ينال الخير الحقيقى بالذات إلا بالخير الموهوب منه وهو الحكمة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة ٢٦٩.

الحكمة ظل القدس عن الحكيم، ومن ظلله الله بالحكمة، وصفه بصفة من صفاته، وأظهره ليظهر مكنون آياته ولديها تلوح أنوار تجليات، فيكون السامع للحكمة المتحقق بها شاهداً آيات الله بكل جارحة مجترحة من أعضائه، قائماً لله بما يحبه ويرضاه به جل جلاله، حاضراً مع الله سامعاً بسمع منه جل جلاله، ناظراً ببصره إليه جل جلاله، وكفى بذلك شرفاً لمن جمله الله بظل قدسه فأجلسه على بساط أنسه، وإنما الأنس فى صحبة الحكيم أنس بالحكيم جل جلاله، وما تقول فى رجل يأنس بالله وهو فى رسم مبناه، ويواجه وجهه الكريم وهو أسفل سافلين، لديها يقول: أعلم أن الله على كل شئ قدير، ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ﴾ الرحمن ٣٣، السلطان هو الحكيم.

تعليم الحكمة

ينقسم تعليم الحكمة إلى خمسة أقسام: أقوال وأعمال وأخلاق وآداب وأحوال.

فالقول ما قاله القرآن ورسول الله ﷺ، **والعمل** ما ورد عن رسول الله ﷺ وعن أئمة الهدى الهداة المهديين إلى آخر الزمان، **والأخلاق** هى ملاحظة المعلم أن العلم لنفسه وإلا يُرد حجة عليه، وحصن التعليم هو الحلم والصبر والصفح والعفو عن الجهال والمعاندين وخصوصاً فى وقت العلم وصولة السيادة على المعلم، وحكمته التخلص من الأشرار ولو باعترافه بالجهل، **والآداب** هى أن تكون معلماً ومتعلماً فى آن واحد، **والأحوال** هى أن تتجرد من كل حول وطول وعلم وتنتظر ما يرد على قلبك من الواردات، فإن لكل قوم دواء يورده الله على قلبك لا يعلمه إلا الله ويجهله المعلم والله أعلم.

سر اليدين

حكمة المُلك إنما كان لتظهر المعانى فيه بالكدح، والملكوت إنما كان لتظهر المعانى فيه

بالمدح، ففى طور المُلك تشهد الأنوار بالمجاهدة، وفى طور الملكوت تشهد الأنوار بالمواجهة، ولذلك يضمحل المُلك فى الملكوت، لانبلاج أنوار المعانى جلية بالمواجهات والاستغناء عن المجاهدات، وليس العدم للمُلك بعدم، وإنما هو اندماج فى حقيقة كلية هو صورتها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ الأنبياء ١٠٤، فبدأ أول الخلق بالمواجهة، وأعاده إليها، لا فرق بين الكافر والمؤمن، ولكن هذا سمع من المُلك فَقَبِلَ، وهذا سمع من الملكوت فأبَى، والسماع من الملكوت لا ينتفع به السالك إذ الحقائق لا تنعدم، ولكن تفنى الصور فى الحقائق، والحكمة تتضح جلية فى طور بعد طور، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ نوح ١٤.

القرب به له سبحانه

قربك به منه بطون لك فيه، وظهور له به ولك به فيك، وقربك الحِسى بك من حيث الاستدلال نأى عنه، وظهور لك فى عينك بغير حقيقتك، وهو هو الظاهر له به ذاتاً واسماً ولك تأثيراً، وهو الحجاب الذى هو أنت فى عينك، وبعدك الحسى بطون لظهوره وخفاء لظاهره، وهو هو الظاهر له به من حيث غيبتك عن علم من أنت حقيقته، وهو الستر المعبر عنه بالكفر، لأن الهوى غالب على السمع والأبصار والأفئدة فحرمها من التفكر فى الآثار.

وخير الأمور الوسط، وهو أن تعلم حقيقة أنك شئ مذكور به له، وأنه الواجب الوجود الظاهر بأسمائه ونعوته حقيقة له، واعتباراً لك من حيث تقييدك، فهو سبحانه ظاهر لا يخفى وباطن لا يدرك، وأنت ثابت به له معدوم بك لك، والحال يحول ستارة الأوهام كما يذيب حر الشمس برد الماء، ومتى هبت نسمات القدس من أرجاء حظيرة الأنس، انتشعت تلك الروح القدسية فى مضايق العوالم الناسوتية، وترنمت بأشجان الميل إلى مكانة التنزلات الربانية، فغاب الحس وانمحى اللمس واختفت الآثار بأنوار الأسرار، هنالك يترجم اللسان ولا ملام، وتباح العبارة ويؤمر بالإشارة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات ١٦٤، ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ الإنسان ٢١.

الحمد لله على القرب به له سبحانه، والفتح منه والإقبال والقبول، وصلى الله على عين

كمالات العين وسر جمال الأحد، صلاة بها نشرب من أنهار معارفه شراب العلم النافع، والتوفيق والإخلاص يا رب العالمين، أجب دعانا يا مجيب الدعاء.

الإقبال

من الإقبال عليك إعانته إياك بالإقبال منك، والشرط تابع للمشروط، فأدم إقبالك عليه، وأقل مراتب الإقبال أن ترغب فيما لديه.

وإن نازعتك نفسك يا بنى أن تأنس بإقبال الدنيا والآخرة عليك، فبين لها أن ذلك بتوفيقه لك ومعونته على الفرار مما سوى الله، حتى تعلم أن حظها لا ينال إلا بالإقبال عليه جل جلاله، واجعل سرك الأخص مرآة مصقولة لمواجهة قدس العزة والجبروت، واعلم أن بقية قواك لا تنفك تنازعك لأنها جاذبة لك إلى مقتضياتها، والمخلصون على خطر عظيم حتى يخلصهم له، فيختطفهم إليه ويجذبهم بيديه، وكلتا يديه يمين.

الفرار من الوجود بصولة الشهود

لا تفر به إليه إلا إذا فزت بما لديه، فإن فرارك من الوجود بصولة الشهود، فإذا أحبك قربك وإذا دعاك هداك ومن طهوره سقاك وبتوفيقه وعنايته والاك، فاسلب وجودك الذى حجبك عن مطالعة غيبه، يريك آياته فى نفسك وفى الآفاق، فتراه أولَى بك من نفسك وأقرب إليك منك، وتراك مظهراً لظهور معانيه ورِقاً مسطوراً بسوابغ أياديه، وهو الظاهر والباطن والأول والآخر، وهو على كل شئ قدير.

المحبة

المحبة بدءاً مواجهة روحانية فى الوطن الأول، اجتمعت عليها الأرواح وائتلفت، فلا تطمئن إلى جمال غير جمال الحق، حيث رأت جمال اللون الحاضر فلم ترض به، ثم عُرض عليها جمال الملكوت فلم تلتفت إليه، ثم عُرض عليها جمال الجنان الثمانية فلم تلتفت، ثم جمال أسماء الجمال وجمال أسماء الجلال، ثم جمال أسماء الكمال ففرت من الكون إلى العين،

وهو جمال مجلى الذات الأحدية، وهم القليلون أمام تلك الحضرة، جنود عنده، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فإذا خرجت تلك الأرواح فى هذا الكون، عُرض عليها كل ما رأته فى تلك الجمالات أزلاً فى عالم الحسن والجمال، فظنت أنه هو الجمال الذى عشقته أزلاً، فجذبت فلم تجد أنسها ومطلبها حتى تقع العين على صورة العارف الربانى، فاطمأنت وفارقت الكون، وأحبته حُباً فارقت فيه كل حبيب حتى نفسها، فواجهتها حضرة الذات فى مقام الخلافة الكلية والصورة الكونية، قبل أن يظهر الحس والعقل والروح، فتكون عين وأذن لتلك الصورة المقدورية ترى بها وتسمع بها، حيث إنها فنيت بتلك الصورة عنها فصارت مرآة لها، لأنها فى الحقيقة أسرار الذات.

ظهور الحق

ظهوره لك بوصف من أوصافه فيك وفى غيرك، جواذب عناية ومعراج للوصول إليه، فكن حاضر القلب، إن هذا الظهور ليس لك، إنما هو المحبوب الأول حيث تشبهت به وأحسنت الاتباع له، فاحذر أن تغتر بظهوره فتنسى ميزاب هذا الخير، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب من أحبهم ويظهر فى قلوبهم، فتصير حيث يشاء وكيف يشاء وبما يشاء، فكن فى القلب الذى ظهر لك به منك، فتدوم تلك المواجهة، وقد تعقبها المنازلة فالمعانى فالأخفى فالاتحاد عن الغير، بوقوع العين على العين من غير بَين، والله ذو الفيض.

ائنس به سبحانه فى كل شئ، فإذا لاحظت الآثار وشغلتك الأغيار، فارجع إلى الجهاد قبل البعاد، أمرتك بالرجوع إلى الجهاد فاحذر أن تنسى صافى موارد التوحيد وعلىَّ مشاهده فى جهادك، فإنما الجهاد ليصقل المرآة، لتظلل بنور من تهوى، والحق جل جلاله لا بُعد ولا قُرب، بحسك حضر وغاب بعقلك، وهو الظاهر والباطن.

حكمة القلب

القلب موجه إلى جهات أربعة: إلى المُلك والملكوت والعزة والجبروت. فبنور العقل يُشهد المُلك، وبنور الإيمان يُشهد الملكوت وهو الآخرة، وبنور اليقين تُشهد العزة وهى

الصفات، وبنور المعرفة يُشهد الجبروت وهى الوحدانية، والجبار تعالى فوق القلب محيط به يكاشفه بما شاء، فيغلب عليه وجد ما أشهده، وضعف اليقين قد يدخل فى كل شئ، وقوة اليقين تحتاج إليها فى كل عمل، وإلا فهى دنيا يُهتدى إليها بنور العقل، فمن لم يُعط نور اليقين لم يرَّ المُلك الكبير، فاستهواه المُلك الصغير فأحب لا شئ، فلم تكن همته بالعلوىِّ ولا عنده من الأعلىِّ شيئاً.

عيون الروح

إن للقلوب آذان ولكنها لا تسمع إلا من ألسنة القلوب، ولها عيون ولكنها لا تبصر إلا بعد ظهور الغيوب، وللأرواح عيون ولكنها لا تبصر إلا بالبصير إذا سعدت بموالاة العليم الخبير، فمن أبصر بالقلب شهد الآيات، ومن أبصر بالروح شهد ما لم يبين بعبارة ولا بإشارة، وهذا مقام تسجد عنده الأرواح فكيف بحال الأشباح! وإنما هى سواطع أنوار تخطف الأبصار وتتجلى للبصائر، وإنما ترى الحق إذا نفذت من محيط الخلق ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝﴾ البروج.

أهل الاجتباء

أهل الاجتباء فى الجلوة الخاصة شغلتهم العندية عن شهود الآيات الجلية، وإنما تُشهد الآيات فى الجلوات لمن لم يتجردوا عن الآفات. لم يشهد أصحاب رسول الله ﷺ الملائكة التى أنزلها الله لأنهم شغلوا بعندية رسول الله ﷺ عما أولاه الله.

الروح فى جلوة الاجتلاء فى بهجة الشوق إلى اللدُنية، فكيف تشهد آيات كونية! وإنما تبين تلك الآيات لمقتضى تلك المكانة التى لا تشغل الروح عن اتحادها، والإقامة لها حكم، وما للمجتبى فى مقام الاجتبا والشئون، ومقصده الرضا!

والمراد فانٍ عن مراده بمراد من أراده، وهو فى حالة جلوة الاجتلاء كله سمع وكله بصر، لأنه فى مقام عيان يمحق البيان، وقرب يسلب الفصل، وكفى بالمُراد شرفاً أنه أريد وطُلب وأُسعد بالحظوة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قد سدت كل خوخة فى مقامات الاجتلاء إلا خوخة أبى بكر، وكان حظه أنه أريد واستحضر فحضر، وليس فوق هذا المقام إلا الفناء عن كل مقام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ النحل ١٢٨، ومعية الله نهاية الوصول وغاية المبتغيات.

أهل اليقين

أهل اليقين هم كون فى كون بهياكلهم، والمشهود المُكوِن بلطائفهم، محق اليقين الحق الأباطيل والأوهام ووقع بهم على حق اليقين، سكوتهم كلام لمن فقهوا، وكلامهم نور لمن وصلوا، يجدد الله بهم أمور دينه سبحانه، ويحيى بهم معالم سُننه، وهم سُرج الدنيا ومصابيح الآخرة، هداة أمناء فى الدنيا وشفعاء فى الآخرة، ظهر لهم الجميل فعشقوه لجمال وجهه، ثم بَطُن عنهم فتألهوا به، فهم بين ولهٍ بمكانة أحدية، وبين هيام بجمالات إلهية، وهم العبيد الصادقون والأفراد المخلصون، لهم يشتاق العارفون ويحن لهم الصديقون.

الإخوان

اصطلح أهل الطريق على تسمية المريدين بالإخوان، ولم يكن هذا الاصطلاح إلا مستنبطاً من كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ، فليس مجرد اصطلاح وضع لصدفة، بل هو مؤسس على أساس شرعى، ولما كان لا يتحقق بمعناه الشرعى، ويظهر بأجلى مظاهره إلا فى أشخاص المريدين لطريق الله تعالى، الراغبين فى القرب منه سبحانه، الطالبين النجاة من مقته وسخطه ومن شر اليوم العبوس القمطريرى، وهم الذين آمنوا بالغيب وأقاموا الصلاة، حتى بلغ من إيمانهم بالغيب التسليم لله ورسوله وللعلماء بالله تعالى، فيما يظهر لعقولهم سببه، وما يخفى عليهم من الإيمان بالله تعالى، وأسمائه وصفاته وملائكته ورسله وأيامه سبحانه وتعالى، والتسليم بمعانى الصفات، حتى صار خبر الصادقين عندهم فوق مشاهد المحسوسات.

هؤلاء هم المؤمنون حقاً، الذين حكم الله تعالى عليهم فى محكم التنزيل بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات ١٠، وحكم عليهم رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح إسناده، المقبول

متنه، بقوله: (المؤمن أخو المؤمن). فأهل الطريق أسسوا طريقهم على صريح الكتاب وصريح السُنة. فالإخوان وإن تباينت أشباحهم وتباعدت أبدانهم واختلفت مراتبهم وتعددت مشاربهم، فهم جسد واحد فى عين الله تعالى وعين رسول الله ﷺ، اختلف أعضاؤه، وتباينت خصوصيات الأعضاء، ولكن لكل عضو وإن تباين عن الآخر خصوصية وعملاً، فعمله خاص على النفع العام لجميع البدن، ووجهته منحصرة فى دفع المضرة وجلب المنفعة للجسد، فقد تميط اليد الأذى عن الجسد فتؤلمه، مع أنها تجلب له ما به لذته وسروره، فالأخ وإن آلمك فعله، فإنما يريد لك الخير الحقيقى والسعادة الدائمة، الإخوان حصون فى الشدة وجمال فى الرخاء وكنوز عند الحاجة وبهجة فى الراحة.

الإخوان صفت سرائرهم، ونزع الله ما فى صدورهم من غل، فهم على سُرر المواجهة متقابلون، شهدوا الله بتراحمهم بينهم فى بعضهم، وجليت معانى صفات جماله لتعاطفهم بينهم فى أنفسهم، ألم صغيرهم ألم لمجموعهم، كالجسد الذى إذا مرض عضو منه مرض كله، الإخوان إكرامهم إكرام لله ورسوله، وزيارتهم قرب من الله ورسوله ﷺ، ولا يتحقق مؤمن بالإيمان إذا لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه. إن الله قد يكون ثالث أخين اجتمعا له، وثانى أخ سعى فى نفع أخيه. لم تكن معاملة الإخوان للإخوان، إنما هى معاملة لله سبحانه فى ذات أخيك.

ما الذى دعا أهل الطريق أن يشددوا فى تلك النقاط مع تهاونهم بكثير من الواجبات!

دعاهم إلى ذلك أمر عظيم، وهو اتصال نسب العبد بالرب بتخلقه بأخلاقه الجميلة من الرحمة والحب، والعاطفة والمودة، والحنانة والرأفة، والعطف والسماح والمغفرة، التى هى عنوان على أن العبد مجمل بجمال سيده، ومحلى بحُلل مولاه، ومفطور على الخير والنفع، مجبولاً على البر والإحسان، وكفى الإنسان مجداً وسعادة وقبولاً أن يكون مجملاً بهذا الجمال، وهو الوصل والقبول وإن فاته غير ذلك، فإذا تجرد الأخ من تلك المعانى فهو إما أن يكون متصفاً بأضدادها، أو مجرداً من كل معنى من المعانى، فإن كان متصفاً بأضدادها فليس بأخ للمؤمن، لأنه أخ للكافر، وإن تجرد من تلك المعانى فقد انحط عن رتبة الإنسانية، فكيف

يتكمل بتلك الفضائل والجمالات الربانية؟!

الأخ إذا لقى الأخ صار له أربع أعين، وأربع آذان، وأربع أيد، وأربع أرجل، ولسانان، وقلبان، وحالان، وجاهان، فتزيد قوته، وينمو علمه، ويتجدد عزه وشرفه ومجده، فكيف يكره الإنسان أن يكون له مائة وجه، ومائة عين، ومائة أذن، وقد يكون الأخ تاركاً لما يجب عليه محافظاً على الأخوة، فيأتى أخوه يوم القيامة فيشفع له عند الله حتى يدخله الجنة، قال ﷺ من حديث طويل: (فإن لكل أخ شفاعة يوم القيامة).

الأخ إذا صلح صلح به كثيرون، وإذا فسد فسد الجميع، والأخ عضو من أعضائك، فإذا مرض العضو فعالجه، فإنك به قوى، فإذا قطعت كل عضو مرض أصبحت عدماً، كل أخ مطالب لله ورسوله بأن يجاهد نفسه أمام إخوانه، وأن يكون على الحال الأكمل ولو كان غير فطرة، خشية أن يراه إخوانه فيقلدونه، أو يفتح عليهم باباً من أبواب سوء الظن به. لا نطالب الأخ أن يكون معصوماً من النقائص محفوظاً من الزلل، ولكنا نطالبه ألا يجعل الأخوة والنسبة إلى الطريق، معينة له على أغراضه الفاسدة وخصاله القبيحة، فإن ذلك وصمة للجميع، وتنفير للخلق عن انتهاج سبل الحق، فيجب عليه أنه إذا قدر عليه أمر أن يستتر عن الخلق، وأن ينكر انتسابه للطريق ما دام موسوماً بتلك الوصمة إذا ظهر عليه هذا العيب، ثم يأتى متظاهراً بالتوبة والندامة والإنابة، حتى يعلم الناس أن ذلك لم يكن من أساسات الطريق، ولا من الأحوال والأسرار، وإذا لقى الأخ الأخ ورأى فى نفسه انقباض صدر منه، فليحس فى نفسه، فإن كان ذلك لحظ نفسانى جاهد نفسه، وأنواع الحظوظ النفسانية كثيرة، منها حب الشهرة، وحب الأثرة بالسيادة، وحب جمع المال، وكونه على معصية يخشى أن يطلع عليه أخيه، وكونه ادعى دعوة من الدعاوى التى ربما تنكشف لأخيه، أو كونه انتسب لغير أبيه، أو نسب لنفسه ما ليس لها، وإذا كان انقباض صدرك لم يكن لحظ من حظوظك ولا هوى خفى عليك، فأسئ الظن بنفسك وتكلف البسط له، وجاهد نفسك فى إكرامه وإنزاله منك منزلة عالية، فإذا ظهر لك أن ذلك من مرض فى أخيك كان خفياً عليك، أو لسوء حال ستره عنك كوشفت به بلطائف قلبك، ثم ظهر لك بعمله أو قوله، فأنزل نفسك منه منزلة الطبيب الرفيق الشفيق، مؤلفاً له ساتراً عنه ما علمت به خشية نفوره، فإنه

ربما نفر فكفر، فتكون بعملك هذا أوقعته فى أكبر الكبائر، مع أن عيبه ربما كان من أصغر الصغائر، وأنت فى هذا المقام مسئول به أمام الله ورسوله ﷺ، مطالب بنجاته يوم القيامة، فإن أهلكته هلكت ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة ٣٢.

وإن نجيته نجوت ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة ٣٢، من قطع رحم مولاه، وقرابة رسول الله ﷺ، التى هى الأخوة بملك الأرض والجنة، لا يكون أهلاً للمنة، كيف وقاطع الرحم مقطوع.

ابذل ما ملكت لأخيك تكون بذلته لمالكك، وببذلك يصطفيك الله، ولا يبدلك جهل من استوحش من شهود الحق الظاهر فى الأخ وأنس بالدنيا، لأنك ببسطك للأخ وأنسك به وبذلك له تقربت لله، وتحببت فى رسول الله وبذلت لذات الله. إذا كانت الدنيا أحب إليك من حبك لأخيك والإحسان إليه، أو كانت سبباً فى عداوتك لأخيك فى الله فلا سبيل للنجاة.

الأخ قد يجود بمكانته فى الجنة لأخيه الذى سجلت عليه النار، ويتلذذ بأن يجعل أخاه فى الجنة، ويكون فى النار حباً لله ورسوله ﷺ، وقد يبذل نفسه دون مال أخيه، هكذا الأخوة كانت، وبها عَلَت كلمة الله وانتشرت سُنة رسول الله ﷺ.

حقيقة الأخوة

الأخ هو أنت، ومن كان كذلك قدم صالحك على ضرورياته وأنت تقوم له بهذا، فكأن الإخوان كالأعضاء التى اختلفت أنواعها، وكلها تقوم بخدمة النفس، بمعنى أن العين لا تخدم نفسها ولكن تخدم الجسد كله، واليد كذلك والرجل واللسان، وكل الأعضاء تسعى فى خدمة غيرها بصدق وإخلاص، بدون منة ولا ذكر للعمل التى عملته، بل تسعى بجد فى منفعة غيرها بصدق عند اللزوم، وقد شبه رسول الله ﷺ الإخوان المؤمنين بالجسد الواحد، الذى إذا تألم عضو منه تداعى له بقية الجسد بالحمى والسهر، فالأخ إنما أوخى ليكون عضواً عاملاً لخير إخوانه، ودفع المضرة عنهم ومشاركتهم له فى خيره، ومشاركته لهم فى

مهماتهم بصدق وإخلاص، ملاحظاً يقين أنهم أعضاؤه حقيقة، وأنهم أعوانه ولولاهم لهلك أو احتقر، ويتيقن أن ذلك كله ابتغاء مرضاة الله، وإحياء لكلمته ودينه وهذه هى الأخوة، وقد يقف اللسان أن يعبر عن حقوق الأخوة إلا بما تقدم، والقلب المؤمن يكفيه قليل الحكمة، وإن المؤمن إنما يعامل الله تعالى فى صورة إخوانه، بالقربات والإكرام والاحترام والتودد والتقرب.

العبد

هو الإنسان الوسط الذى منحه الله نوراً فقه به أسرار كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ، فِقهاً بيقين كامل عن إخلاص وتصديق، فاتقى الله سبحانه بحقيقة التقوى بأجلى معانيها، فأفاض الله سبحانه عليه من أسراره الخفية فى نَفْس العبد وفى جميع الكائنات علماً تمكن به من معرفة نفسه، وتحقق بعد التمكن من معرفة نفسه بمعرفة ربه، وبهذه المعرفة ذاق لذة العبودية، وشهد أن العبد لا ملك له ولا حول ولا قوة ولا قرار ولا حظ، لأن العبد يسعى فى مرضاة سيده، حتى يحتاط كل الاحتياط أن يقع عليه نظر مولاه وهو فيما يحبه ويرضاه. ولما كان المحبوب لسيده، والمراد له سبحانه فى الغالب لا يكون محبوباً للنفس ولا مُراداً لها، وكشف المراد الحقيقى لسيده غيب عن عينه وعن قلبه، لأن الغيوب حُظر على العقول والأرواح الإشراف عليها، لأن التشوق لها ميل إلى حظ عاجل، ولذة جسمانية واشتغال بالكون عن المكون، والعبد يخشى مولاه أن يراه مشغولاً بكونيات أو مُلتفتاً إلى غيبيات، لأن العبد لا يدرى الجلال الحقيقى من الجمال الحقيقى، فقد يكون الجمال الذى يتحققه بأنه جمال بالنسبة لما يناسب طبعه ويلائمه، وهو فى حقيقة الأمر عين البلاء والمقت من السيد سبحانه، وقد يعلم الأمر أنه جلال بالنسبة لنفسه وهو فى الحقيقة عين الجمال، الذى به كمال رُقيه وقربه من ربه، ولذلك ترى العبد يشكر الله عند النعمة خائفاً من سوء العاقبة، ويبتهل إلى الله عند النقمة خائفاً من أن النقمة تكون نعمة، وبزوالها يزول عنه فضل من الله تعالى، إذ حقيقة الرضوان والفضل من الله تعالى لا ينالان إلا بفضله الإلهى، وقد يكون داعيهما ما لا ترضاه أنت، وتبتهل الليل والنهار فى صرفه عنك، ولهذا فالعبد دائم الخوف إن شكر على نعمة، أو ابتهل لزوال نقمة، وهو الفرد الآمن فى الحقيقة، ولم يكن أمانه لأنه أمن فى نفسه

من جانب ربه، ولكن لدوام مراقبة غيب مواطن الرضوان، وجفاء داعيات الإحسان، وخفاء عاقبة النعمة والنقمة فى هذه الدار الدنيا، ولذلك فأهل الله عبيده المخلصون، امتزج خوف الله تعالى رهبة وعظمة وعلواً بسويداء قلوبهم، فلا يزالون يدعون الله رهباً ورغباً، فلا الرهب يحجبهم بكمالاته (الكبرياء والصمدية والعظمة والعزة والجلال) عن كمال الجمال والعطف واللطف والرأفة والحنان والود والإحسان، ولا الرغب ينسيهم الجبروت، فمقامهم مزيج من رغبة فى رضوان وفضل مولاهم، ورهبة من عظيم كبرياء جلال مولاهم، وهم الأقلون عدداً، محل نظر الله من عباده، وصفوته من أوليائه، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢.

اللهم كما أكرمت فأدم وزد وبارك وتفضل، فإنك تتفضل على من تشاء، فتفضل علينا بفضلك ورضوانك يا رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم آمين.

معاملة أهل الصفا

السالك حقيقة من باشر قلبه اليقين بأن الله سبحانه وتعالى مُطلع عالم بسره وعلنه، لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وأخفَى من ذلك وهو اللطيف الخبير، فإذا ذاق حلاوة اليقين بهذه المشاهدات الإحسانية راقبه سبحانه وتعالى فى صغير الأمر وكبيره مراقبة تيقظ، حاضر القلب والفكر معه سبحانه حضور خشية ورهبة ورغبة، ويلاحظ أنه سبحانه وتعالى رضى لنفسه العدل والفضل والإحسان، والرحمة والشفقة والإكرام والمغفرة والإحسان والهبة، والإعطاء والمنة والسماح والعفو، وأمر من أحبه أن يتخلق بها، وإن من تخلق بها تقرب إليه، ووصل إلى ميادين الأُنس به جلت قدرته، ومن ادعى حبه والميل إلى جنابه العلىِّ، أو طلب الوصول إلى حضرته العلية ونوال رضوانه الأكبر ولم تتوفر فيه الشروط المذكورة فمغرور، وتلك الأخلاق يعاملنا بها الحق سبحانه، لا فرق بين بنى الإنسان فيها، فجميع جمالاته فى تلك الدار عامة لجميع أفراد خلقه من إنسان وغيره، والسالك يعامل الله تعالى بها فى جميع خلقه، لأنه لا يمكن أن يعامل الحق سبحانه بها، لعلو منزلة الحق تنزه وتعالى عن رتبة الاحتياج لانفراده بالغنى المطلق، ولكنه فضلاً منه وكرماً قبله لنعمه العلية، إذا عامل بها عباده مراقبة لجلاله وعظمته، وتخلق بأخلاقه القدسية،

ويهب من تجمل بتلك الجمالات جميل إقباله وجمال إنعامه، وهذه المعاملة لا تتحقق إلا إذا صدرت من السالك بدون باعث كونى من مقابلة أو شهرة أو علو أو تقرب لعمل، بل إذا صدرت عن وجد وشوق للتخلق بأخلاق الله تعالى، واستحضاراً لعظمته وحُباً فى نوال الزلفَى عنده سبحانه، فالسالك الكامل من عامل الناس جميعها بهذه المعاملة، وحرص عليها بوجهها الأكمل عند معاملة أهله وأقاربه وجيرانه وإخوانه المسلمين بحالة سجية لا تكلف فيها، والله الموفق.

أنواع المعاملات

صلة الوالدين ومن فى رتبتها، معاملة الإخوة ومن فى مرتبتهم، الجيران أهل البلد الشركاء الخلطاء، المشتركون معك فى عمل واحد، أو من يجمعهم معك محل واحد فى عمل، الأُجَراء من الصناع وغيرهم، الأجير الخاص، معاملة المرسل إليك، معاملة من يسألك علماً أو عملاً أو مالاً أو جاهاً، من يستشيرك، معاملة من ترى عليك حق النصيحة له، معاملة العالم للمتعلم، والرشيد للمسترشد، معاملة أهل الذمة، معاملة من له دين على آخر، معاملة زعيم عمل لمن دونه فى العمل، كل هذه المواضيع العلمية والعملية، إذا صدق بها العامل لله تعالى، ينظر بعين الإنصاف فيُنزل نفسه منزل الآخر منه لغيره، ثم ينظر الأشياء التى يحب أن يعملها غيره فيه عندما ينزل نفسه بتلك المنزلة فيعامله بها بوجه أكمل، ولا يطالب بتأدية الواجب إلا نفسه دون غيره، إنما يحاسب على عمل نفسه لا عمل غيره، وهذه هى الحكمة البالغة التى لو لوحظت عند أفراد الأمة ائتلفت قلوبهم واتحدت كلمتهم، وطالب كل فرد نفسه لعلمه بأن الله تعالى إنما يحاسب كل فرد على عزمه المقرون بالعمل، وهذه الأبواب يطول شرحها، وأحبها علماً والعمل أولى فى هذه المقامات من العلم.

الفصل الثالث

مراتب السلوك ومنازل الوصول إلى الله

الفتوة وأنواعها

فتوة البواده

فتوة البواده: إقدام ناتج عنك بالغيرة بعد العلم، يدفع إلى محو الباطل إظهاراً للحق بعد اليقين، والفتى هو من مُنح كمال القابل للفيض المقدس أو المظهر، وإن كان الإقدام على محو باطل متعزر فى النفس، أو مرغوب فيه بحسب مقتضيات الحظ والشهوة، كان هذا الفتى مؤهلاً لأرقى مقامات الولاية، وإن كان الإقدام على محو باطل هو غير الحق فى غير ذات الشخص فإن هذا الفتى مؤهل لأعلى مقامات الوراثة، أو للفيض القدسى وهو الرسالة، فالفتوة فى الرسالة قاهرة، وفى الأولياء تكون بلسان حكمة عالية، أو بآيات رسالة قائمة، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى﴾ الأنبياء ٦٠، وهذه الفتوة صفوة الرسالة بحسب القابل، وصفاء جوهر النفس، وما ينال بلسان الرسالة قال تعالى: ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ الكهف ٦٢، وهذا الفتى قد بلغ درجة النبوة لأنه يتلقى هذا الحق من لسان رسول الله، والفتوة فى مقامات الولاية فاتحتها لسان الحكمة فى البواده الحقة، وإنما يتلقى تلك الحكمة من أخص أكمل ورثة رسول الله ﷺ قال سبحانه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ المائدة ٥٤، مع علمك بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ النحل ٧٨، ومن منح القابل ولم يتفضل الله عليه بمنح من يبين له بلسان الحكمة لم يبلغ هذا المقام قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة ١١.

فتوة إخوة يوسف

الفتوة تضمحل فى نفس، والنفس سرور، وفضائل آمالها عظائم الأمور، وصاحبها محمول على رفارف العناية، ولا تعجب فإن أخوة يوسف دفعتهم الفتوة إلى أن يحجبوا يوسف عن أبيه، ليصفو لهم المورد على منهل الحكمة مسارعة لنيل قسط من وراثة الخليل، لأن

أباهم يخص بها يوسف من دونهم وهى فتوة، ومن تطبع فى سبيل الفتوة ببضع وأربعين كبيرة يمحوها الله لهم بما علمه فى قلوبهم، قال تعالى: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ يوسف ٩، أى بما يبلغونه من الحكمة وما ورثوه من مقام الخلة من والدهم، وكم صغرت الضروريات فضلاً عن الكماليات، واحتقرت أعظم المواهب عند أهل الفتوة، ومع ما فى الفتوة من وقوع ما هو مخالف للعقل والشرع قال تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ الفرقان ٧٠، ما لم يكن هذا الإقدام لحظ خفى على النفس، لذلك بينت لك أيها الأخ السالك أن أسرار الفتوة لابد وأن تكون بواده رحمانية لمن أُهِلوا للرسالة، أو بإشارات علية لوارث له ﷺ لمن أُهِلوا لأرقى مقامات الولاية، وما تراه يحصل على يد غير المرشد فليس من الفتوة فى شئ.

فتوة أهل الكهف

بينت لك فتوة البواده أن المتفضل عليه بها مؤهل أن يكون نبياً أو رسولاً، وأهل الكهف إما أن تكون بلغتهم الرسالة بتلاوة أخبار الرسل، أو تكون سبقت لهم الحسنى ولم تبلغهم الرسالة، فإن كانت الرسالة بلغتهم عن أثر من علم فهم أنبياء لأنفسهم، والله ذو الفضل العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ الكهف ١٣، وقوله: ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ صالح أن يكون باطلاع أو ببواده، وأما قوله: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ فيض بعد البواده لأنه نسب الزيادة له ونسب الإيمان لهم.

نهار الفتى المحبوب فى السعى والفكر ... وليل الفتى المطلوب فى جذبة الذكر
عجيب مجاهدة الرجال نفوسهم ... لتطهيرها من ظلمة البعد والكفر
شباب مقامهمو المعاصى وغفلة ... يوفقهم للقرب ربى وللخير
ففى الليل رهبان بذكر إلههم ... نهارهمو سعى إلى طلب البر
نعم هم رجال فى محبة ربهم ... لقد خصهم منه بساطعة السر
أحبهمو حتى أحبوه هيموا ... أيا روح لله العلى ألا فرى
تراءى لهم وجه الجميل فحيروا ... وفروا من الأكوان فى البر والبحر
فأشهدهم ما فيهمو من جماله ... فغابوا به عشقاً على الصدق فى السير

فلم يلههم حظ ولا شهوة ولا ... علو وتمكين من الأهل والغير
يقودهمو القرآن ينبئهم بما ... يناهو من ربهم من ضيا الفجر
تراهم سكارى طول ليلهمو بما ... رأوه من الأنوار فى ليلة القدر
ليا ليهمو قدر وأيامهم ضيا ... تجلى لهم مولاهمو ساعة الفجر
على سنة المختار ساروا وفارقوا ... حظوظاً وأهواء تدل على الشر
قلوبهمو قد عمرت بحقائق ... وألسنة الأفراد تنبئ بالسر
تراهم نهاراً كالسباع شهامة ... كما أمر الرحمن بالسعى فى السير
وفى الليل موتى من غرام حبيبهم ... سكارى حيارى فى شهود وفى ذكر
لقد تركوا أباءهم أمهاتهم ... وقد جاهدوا بالحال فى السر والجهر
وقد أعجزوا بالعلم كل معلم ... لأنهم منحو الحقائق فى الصدر
من الله والإحسان فى كل موطن ... علومهمو نور يضئ بلا حصر
مجالسهم ذكر وفكر تأدب ... بآداب خير الرسل من محكم الذكر

الكهف هو الشريعة المطهرة

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ الكهف ١٦.

للنفس الأمارة بالسوء سلطان قاهر على كل ذويها من الخيال والوهم، ومن القوة النباتية كالغازية وغيرها، ومن القوة الإبليسية من الحسد والعناد وكفران النعمة، ولما كانت كل تلك القوى الظاهرة والباطنة التى يجمعها ثمانى عشر نوعاً، كلها مفطورة على التنازع والتباغض والمسارعة إلى العناد والإفساد إذا لم تتحصن بكهف الشريعة بجاذب الجهاد الفادح. والفرد من الإنسان مملكة عظيمة جداً مكونة من مَلِك متصرف تصرفاً مطلقاً وهو القلب، ومن وزراء ورئيسهم الكبد فالكليتان فالطحال، ومن عمال مقربين منها برءوس الأعمال كالمعدة، فعمال إفراز الأمزجة ورئيسها المرارة، فعمال تطهير الجسم ويرأسها الأمعاء الغلاظ والدقاق،

فعمال المهن الدنيئة كالمستقيم وهو طرف الأمعاء الأسفل والمثانة وغير ذلك، أما العمال الأشراف فجهاز دورة الدم كالأوردة والشرايين، وفيما بين كل هذا حقائق تبهر العقول وتحير الأفكار من بدائع إبداع قدرة الله تعالى، وحكمة كل تلك الحقائق تمثل مملكة عظيمة تمثيلاً يجعل أكبر مملكة فى هذا الكون مصلحة أمامها، ومع أن الإنسان أضعف الأنواع الموجودة لأنه يحتاج فى ضرورياته إلى كثير من الأنواع ومن بنى جنسه للقيام له لسد حاجاته الماسة، فإن الله تعالى أقامه خليفة عنه، وسخر له كل شئ ليجمع بين عجزه عن القيام بنفسه لأمس الضرورى إليه، ولينظر ما أسبغه الله عليه من الفضل، فيتعرف إلى الله ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ عبس ١٧.

يقول تعالى : ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ الكهف ١٦.

وهذا الكهف المحسوس الملموس إشارة إلى باطن الآية، فلا نجاة للإنسان إلا إذا تحصن بكهف الشريعة المُطهرة، لينشر الله عليه من رحمته السماوية وفيض الأسرار، وبإلهام الغيوب التى أهله الله تعالى لها، ومن رحمته الظاهرة الكونية، فيوسع له الأرزاق ويمنحه العافية والسلامة، ويسخر له جميع خلقه، فإذا كان التحفظ بالكهف فى الجبل من المَلِكُ الظالم لنفسه ولرعيته بقهرهم على عبادته وعبادة غير الله نجاة وحفظاً لهم من الموت مع فقده يعوض الذى يتحلل من أجسامهم بحسن نيتهم فى قصدهم ولإخلاصهم فى عملهم، فكيف يكون حال من آوى إلى كهف الشريعة الإلهية!

الهيكل هو الكهف

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ الكهف ٢١، تحلو الإشارة لأهل الاستنارة، أهل الكهف هى مظاهر معانى الصفات فى المشكاة، والكهف هو الهيكل والدخول فيه الوقاية من تعدى تلك القوى حدود الله تعالى، فالإنسان السالك مُتعين عليه أن يلزم الكهف توقياً من تسلط القوى الشريرة الإبليسية وجنودها حتى تقوم الحجة.

سر الحكمة فى السلوك والوصول

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ الكهف ١٩، إشارة إلى سر الحكمة فى السلوك والوصول، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ الأنعام ١٢٢، إذا جذبت الروح قواها الباطنة من قلب ونفس وخيال ووهم وحافظة ومدركة، إلى ما تقتضيه مكانتها الروحية بكامل التمثيل والتشبيه، تعطل الحس وأطفئت نار مقتضى الجسم، وهو مقام الجمع للسالك والفناء للواصل والسكر للمتمكن، ويكون الجسم فى هذا الحال فى كهف التحفظ من سعير نار الإبليسية ودخان البهيمية ومقتضيات البشرية، خائفاً وجلاً من أن تعود له الحياة التى تحجبه عما هو مولٍ وجهه صوبه، فإن كانت الجذبة بعامل العقل كان الكهف حساً والعمل جسماً، وإن كانت بعامل الروح والحب كان الكهف رعاية ناتجة عن عناية مؤيدة لولاية، وهم أفراد أهل الإيمان الكامل، ممن تجاوزوا النظر فى الكون وفى النفس، وقد علمت كهفهم، وبعثه هذا قيام للجهاد الأكبر لجيش الباطل فيه، لا لجيش الباطل الخارج عنه، لأنه تجاوز هذا المقام بكشف الستار عن حقيقة الدنيا واحتقارها فى نظره، واعتقاده أنها ليست دار بقاء، فإذا بعثهم الله تحفظوا من شر هذا العدو، وشر عدو يجاهدونه (إبليس)، والغرور بنسيان الحقيقة الآدمية الناتج عن نسيان الله تعالى وأيامه، فإذا منحوا عناية الله فى هذا الجهاد، برزوا عبيداً لله فى كونهم الأول، فجذبهم الله حتى أقامهم عنده، راضين عنه، وهو سبحانه راضٍ عنهم، قال سبحانه: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ المائدة ١١٩، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ مريم ٥٥، وخروجهم من الكهف ورجوعهم إلى الحياة الإنسانية الفاضلة الكاملة التى هى حياة الجهاد الأكبر جهاد النفس. قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ الكهف ٢٠، أى إن يظهروا على أحوالكم العلية وأسراركم النورانية، يرجموكم بأباطيل حججهم وظلال حظهم وهواهم.

ولما كانت الحياة البشرية فى أى طور تقتضى النزوع إلى ما يلائمها، لأن القوى استوت، وهذا المبعوث يخشى أن تقوى حُجة الباطل فينزع إليها الحس والجسم ويسكن إليها العقل، فيفوز جيش الباطل على جيش الحق الروحانى، فإنهم دائموا الجهاد، يحنون إلى بدايتهم ويسارعون إلى حصون كهفهم، مع أنهم لا تدعوهم إلى ملابسة الكون والفساد إلا الضرورة

التى أوجبتها الشريعة، من مناولة لما لابد لهم منه، وهم مع هذا الجهاد يحافظون على آداب الشريعة، فلا يتناولون من القوت إلا أزكاه وأطيبه، قال سبحانه: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ الكهف ١٩، وسالك أو واصل لا تسبق إليه يد العناية، لتنتشله من وحلة التوحيد فى السالك، ومن بادية الإلحاد فى الواصل، ومن واحة التيه فى المتمكن ربما نسى أو غفل، لأن البشرية لا تفارق أكمل كامل، والبشرية باب هذا السور للعدو اللدود.

حفظنا الله وإياكم يا أخى فى سلوكنا وسيرنا إلى الله تعالى، من ظهور جيش الباطل على جيش الحق، وأمدنا الله بروح منه يمنحنا بها اليقين الحق، إنه ولى المؤمنين.

قوى النفوس

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف ٢٢، آوِ أيها الجامع بالحقائق إلى كهف ربك بثلاثة نفوس إن شئت ورابعهم، أو بخمسة نفوس وسادسه، أو بسبعة وثامنهم، متى ارتفعت بجذبة التسليم الأولية عن النفس الجمادية والنباتية، وجاهدت حتى قهرت النفس الإبلسية، واسلك بالثلاث ورابعهم، مسلك المجاهد حتى تزكيها وتمنح الرابعة والخامسة وتخدمك السادسة، فإذا لمحت بعيون الشهود ما فى الكون المحدود من سر الوجود نفخت فيك السابعة وملكت الثامنة، وتبدلت أرضك بغيرها، وسماؤك بغيرها، فنفذت من أقطارها بسلطان شهود ما فيك من باريك، فاتحدت القوى الثمان حتى خضعت للنفخة، ولديها تكون حقاً تحيا فى كهفك، فإذا فارقت الحياة بنى عليك المسجد، فكتب فى صحيفتك عمل من يعمل بآثارك التى أبقيتها، ويفقه كلماتك التى قلتها. ويحييك الله تعالى نوراً يبين لمن بعدك ما به تتوالى عليك سوابغ إحسانات ربك، وأنت فى الكهف العام هيكلاً وفى عليين روحاً، فإذا نفخت النفخة الثالثة ـ حيث لم تسمع حثيث الثانية ولم تصعق مع من صعق بها – جمع الله هيكلك المحفوظ بروحك المجملة فاتحدت فى الآخرة بأفراد الأخيار، ووصلت بهم ومعهم إلى الستار بما جملت به من الرضوان الأكبر.

وقد تكون النفس الكلبية سَبعاً كاسراً. قال ﷺ: (اللهم سلط عليه كلباً من كلابك). يعنى ابن أبى لهب، فلطمه السبع فسمى السبع كلباً، وقد تكون كلباً حقيقياً.

وهنا انظر كيف بدلت الأرض والسماوات وكيف برزوا لله الواحد القهار.

العناية الأزلية والمشاهد البرزخية

قال تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ الكهف ٢٥، جواذب العناية من سابقة الحسنى لا تجعل الإنسان مجاهداً جهاداً يرفع درجته مع المجاهدين فى سبيل الله. ولما كانت العناية إذا سبقت لفئة أو لفرد منحته المزيد من أنواع الرياضات والمجاهدات، حتى يفوز بأرقى مراتب المجاهدين، جذبت أهل الكهف عناية الله التى سبقت، ثم أحياهم سبحانه الحياة الكونية بكل معانيها بعد أن أماتهم الموتة الإرادية بالفناء عن وجودهم الإنسانى إلى الوجود البرزخى، وفى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ الكهف ١٩، أحييناهم الحياة الكونية بلوازمها، ليفيقوا فوقة الوجود فى مقام الشهود، ليحصل لهم الشهود فى مقام الوجود، فى مشاهد المثنوية بعد الاستغراق فى الواحدية التى جذبتهم من حظيرة الملوكية (لأنهم كانوا وزراء) إلى ثرى العبودية، وستر عنهم سبحانه سرين عظيمين، سر العناية الأزلية وسر المشاهد البرزخية، بدليل قوله تعالى: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ الكهف ١٩، حتى يكون الجهاد فى ستر الخصوصية وحجب المراد، ثم فتح فاتحة الجهاد برد حياة النفس الغذائية، فدعتهم الضرورة إلى أن يغذوها بغذائها، فأمروا من يذهب لشراء الخبز بما لديهم من نقود الفضة المشار إليها ﴿بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ﴾ الكهف ١٩، لحكمة هى خاتمة الجهاد الذى نفس منه خير من خمسين الف سنة من غيره، لأنهم كانوا عند الله فى أيام الله.

قدر جل جلاله أن يعثر عليهم أهل العصر الحاضر، ليعروهم ما يعروا غيرهم عند الصدمة من الهلع والجزع، ليعلموا أن قدرة الله صالحة أن تقيم الساعة، بما ظهر لهم من إقامتهم بضع مائة سنة، حتى إذا ماتوا بعد ذلك الموتة العزرائيلية، ماتوا مؤمنين كاملين فى الدنيا قبل الآخرة، لأن كشف أسرار القدرة فى الآخرة لا ينفع من مات غير مؤمن بها فى الدنيا، فظهرت الحكمة وهى أن وعد الله حق، وأن الساعة التى أخبرنا الله بها آتية حقاً، فيموتون مستبشرين بالفوز بوعد الله لأهل طاعته، وهذا سلوك من جذبتهم العناية أزلاً، فبادهتهم العواطف الإلهية فأحيت لطائف قلوبهم، فجذبوا منهم ومن الكائنات إلى الله تعالى

محتسين طهور ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الذاريات ٥٠، وكذلك يكون السالك إذا منحه الله الجذبة إلى كهف حصون الشريعة المطهرة، وفى قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ الكهف ٢٥، إشارة إلى أن السالك الفانى عن وجوده الباطل، يفنيه الله تعالى عن الوقوف عند الأسباب وعن النظر إلى أهلها، غير شاعر بجهاده لاستغراقه فى الخوف من مقام ربه، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ الرحمن ٤٦.

* * *

دلائل محبة الله وسر القدر

دلائل محبة الله

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ الكهف ٢٨، لمحبة الله تعالى دلائل تقوم بها الحجة للعبد بأنه محبوب الله تعالى، وأعظم دليل عليها أن يفرغ الله قلب العبد من العمل فى شئون تحجبه عنه سبحانه، وأن يجعل له فى قلبه أنواراً تستبين له بها آيات الله فى الكائنات فى حال عمله الكونى، فيكون فى زراعته أو تجارته أو صناعته، وقلبه معلق بالرفيق الأعلى، مع رعاية أحكام الله التى أمر بها المؤمن أو نهاه عنها.

وهؤلاء هم أفراد الله وضنائنه الذين أفردهم الله لذاته، وقد بلغ من منزلتهم عند الله تعالى أن أمر حبيبه ومصطفاه ﷺ أن يصبر نفسه معهم، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ الكهف ٢٨، هذه الآية بينت ما للمقبلين على الله تعالى الذين يذكرون الله ذكراً كثيراً بقلوبهم بقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ الكهف ٢٨، لأن الإرادة والعزم والاختيار من أعمال القلوب، والدعاء والتضرع والابتهال من أعمال القلوب والجوارح، ولا يشتغل بالدعاء إلا من قام بالفرائض وسارع إلى الله، وذكر الله تعالى بكل جارحة من جوارحه، بقدر ما يجب عليها من التضرع، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن

يصبر نفسه معهم، لأنهم كانوا من أهل الله فى الدنيا، وأهل عنديته يوم القيامة. وهذه الآية من الفيض المدار على قلوب الأخيار، وهى ميزان المقامات وميزاب الفيوضات.

سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ الكهف ٢٩.

هذا بيان من الله تعالى لولى الرسل ﷺ، لأنه ﷺ كان سيداً من عند ربهم، ممن كانت لهم المشيئة المطلقة من غير جبر، اللهم إلا أن تلك المشيئة تتحد اتحاداً كلياً مع سر القدر، ولكن جوهر نفسه ﷺ المصاغ من نور الله تعالى المجمل بوسعة الرحمة الإلهية، ولقد كانت صولات حاله ﷺ تتنافس مع مقامه ﷺ فتدعوه إلى أن يسأل الله هداية الجميع، بما يقيمه من أسباب جمع قلوبهم، فأيده الله تعالى فى مقام الرسالة، تأييداً سوى بين الحال والمقال، بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ الآية، أى: يجب عليك أن تقول الحق للجميع، فإنى قدرت أن أجعل قوماً لرضوانى ومحبتى ونعيمى، وقوماً للبعد عنى وللخلود فى نار جهنم، وقوماً للحساب، فإما أن أغفر وأرحم وإما أن أُحاسب وأُعاقب، ودليل أهل محبته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ الأنبياء ١٠١، ودليل أهل الشقاء قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ الكهف ١٠٥، ودليل الوسط قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ الأنبياء ٤٧.

والأمر من الله تعالى بقوله: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ تأييد لمقامه ﷺ على صولات حاله العلية، الداعية لعلو همته ﷺ إلى أن يهدى الله الناس جميعاً على يده ﷺ. وفى قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن﴾ الكهف ٢٩، أى: من قدر له الحسنى شرح صدره لقبول الإيمان بجاذب روحانى يعتبر مشيئة له، ومن شاء أن يدخله النار حجب عنه أنوار القرآن بجاذب شيطانى يبعده عن القبول وهى مشيئة العبد. فهى فى أهل الحسنى

نعمة من نعم الله على العبد. وهى فى أهل السوءى حجة عليهم. ثم فصل هذا الإجمال ببيان قدره أزلاً، فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ الكهف ٢٩، وهذا قديم أزلى. فكان إعداد النار لهم منزلاً قبل كونهم ووجودهم فيه بقوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ فى الدنيا، لأن من فيها فى نار البعد والقطيعة، وفى شقاء الحرص والأمل وهو نار، وفى الآخرة نار السعير.

وأهل الحسنى فى الدنيا فى جنة الرضا عن الله، منعمة أرواحهم بالمشاهد القدسية أو الملكوتية، فهم فى أُنس بالله مهما اعتورهم من شئون الكون المزعجة، وهم فى الآخرة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر أو فى جنة الفردوس، ورياض الجنة هو جنة النعيم.

ثبت الله بهذه الآية فؤاد حبيبه المصطفى ﷺ، لأنه تحقق أن الأمر مفروغ منه أزلاً، وأنه لا يؤمن به إلا من سبقت لهم الحسنى من الله، وأن سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار، ومع هذا كله فإنه ﷺ كان قلبه الشريف يحترق ألماً على أهل الكفر بالله تعالى حرصاً على إيمانهم. شرح الله صدورنا لفقه كلامه العزيز وكلام نبيه ﷺ.

سر القدر

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ الكهف ٢٩، إن الله تعالى أقام الرسل عليهم الصلاة والسلام مبلغين عنه أوامره ونواهيه ليسمع منهم عن الله تعالى أهل النفوس التى صاغها من نور جماله الذى صاغ منه روح حبيبه سيدنا محمد ﷺ سماع قبول وذكرى تعيد للنفوس ما تتمثله فى مثولها يوم ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ الأعراف ١٧٢، وهذا البلاغ خاص بمن سبقت لهم من الله الحسنى، أما من سبقت لهم منه سبحانه السوءى فلم يكن البلاغ إلا حجة عليهم بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ الأعراف ١٧٢، ولذلك فالله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ الكهف ٢٩، يعنى بلغ المنكرين عليك أن ما بلغتموه هو الحق الذى بقبوله نيل رضوان الله الأكبر، وبإنكاره الإبلاس إلى أرض الطبع، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ الكهف ٢٩.

إن الله تعالى خلق المختارين من نور جماله، وخلق أهل الكفر من طينة الخبال، ويسر

كُلاًّ لما خُلِقَ له، فلو قطع الرجل ممن اجتباهم بظبى السيوف ما ازداد إلا يقيناً وحباً فى الله، ولو أعطى ملك الأرض لمن خلقه الله تعالى من طينة الخبال ما ازداد إلا قطيعة وكفراً، فقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ بلام الأمر حُجة على سر القدر النافذ.

نار النشأة الأولى

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ الكهف ٢٩، إن تلك النار أحاطت بهم من النشأة الأولى، فهم فى عذابها لحرمانهم من الفوز بالإيمان ونعيم مشاهده، ومن بهجة الروح وأنسها فى الدنيا بما أنس به أهل الإيمان، ومن شهود آيات الله تعالى فى الكائنات، وهى عند العارفين أشد من عذاب جهنم، وتلك الحيطة تكون بحبس الجسم عن نيل الخير بعبادة الله تعالى، وحبس الروح عن شهود جمال الله تعالى فى النفس وفى الآفاق. والحرمان من الفوز بالعبادة فى الدنيا، والحرمان من شهود جمال الله حق اليقين فى الدار الآخرة هو نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة، فتلك النار محيطة بهم من بدئهم إلى ما لا نهاية، والإشارة إلى هذا الإتيان بصيغة الماضى فى ﴿أَعْتَدْنَا﴾ الكهف ٢٩.

الولاية الحقة

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ الكهف ٤٤ الولاية لله الحق فى الدنيا والآخرة بالنسبة للحقيقة عنده وعند من علمهم من لدنه علماً، ولما كان أهل الدنيا يجهلون تلك الولاية الحقة، بين الله ذلك كما قال سبحانه: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الفاتحة ٤، وهو جل جلاله مالك يوم الدين والدنيا وما بعدهما، ولما كان مالك يوم الدين وولاية يوم الدين له حقًّا لا ينازعه فيهما مبطل ولا مغرور ولا ضال ممن يدعون أن لهم ولاية هنا وملكاً قال سبحانه: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ الكهف ٤٤، بياناً للحقيقة فى نفس الأمر، وتخويفاً للمغرورين بما تفضل به عليهم من العافية ومن زينة الدنيا التى ذكرها سبحانه بقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ آل عمران ١٤، إقامة للحجة عليهم ﴿هُنَالِكَ﴾ الكهف ٤٤، ليقبلوا على الله هنا. وفى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ الكهف ٤٤ كشف لغيب مصون يتذوقه أهل العلم بالله الفانون

عن وجودهم الباطل بالوجود الحق، الذين شهدوا سر قول سيدنا على ﷺ: (من وصفه فقد عده، ومن عده فقد حده، ومن حده فقد كفر به). وهو مقام فناء الفناء، أى: الفناء عن شهود الفناء وهو البقاء بالله تعالى عند ربنا جل جلاله، فقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ الكهف ٤٤، فقد يلحظ فيها أهل هذا المقام الفناء الكلى حتى عن إقامة الحساب لاستغراق الكل فى وحدة الشهود التى تستر تلك العيون اليقينية عن الوجود أو تستره عنها فقال سبحانه: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ الكهف ٤٤ ليلحظ أهل هذا المقام أن الولاية ظهورها معنى من معانى الربوبية للفصل فى القضاء بين العالم لا للحظوة والاجتلاء، فإن أهل الحظوة على يقين من ولاية الله لهم فى الدنيا والآخرة من وجودهم فى حضرة العلم قبل الكون والزمان، ومن انفراده تعالى بالألوهية.

خير الثواب

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ الكهف ٤٤، أى عند فقد الظهير والنصير، والعدة والعدد، وتحقق الاضطرار الحق إلى الحق، يكون المعاذ والملجأ والمنجا إلى الله وبالله، ولديها يتحقق من اضطر فى هذا المشهد المريع بأن الولاية لله الحق، لا ولاية لأحد على أحد، بحسب تحققه فى اضطراره، وهو سبحانه: ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ الكهف ٤٤، والثواب أنواع كثيرة تتفاوت بقدر همة الطالب ونيته، فقد يكون زهرة الحياة الدنيا، وقد يكون النجاة من أهوال الموقف، أو الفوز فى البرزخ، أو الفوز يوم الحساب، أو الفوز بالجنة، وخير الثواب هو الله تعالى.

ولايـــة الحق اجتلاء بتـــأييـــد ... فيهـــا ظهـــور لإيجـــاد وتجـــديـــد
ولايـــة فـــوقهـــا تـنبـئ بعـــزتهـــا ... فيهـــا الـوجـود عنـــا قهـــراً لمعبـود
ولايـــة الـــذات جلت فى نـــزاهـتهـــا ... مـرادهـــا كـائـن والـــوجه مقصـودى
هـــذا مقـــام لأعـين الألى سـبقـــوا ... فى العلم قـد خـصـصـوا منه بتفـريـد
إذ كل من فى الـسما والأرض حكمته ... بل سر كلـمـته مـن غـير تعـديـد

❊ ❊ ❊

دلائل التوحيد

ظهور الظاهر فى المظاهر

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ الكهف ٤٥، العبارة لا تكشف الحقيقة، لأن حقائق الكائنات غيب لم يظهر منها إدراكاً إلا ما تحيط به قوى الحس، وظهرت به الألوان والروائح والطعوم والأصوات ولوحظت الخواص كلها أحوالاً قائمة بحقائق، والحقيقة من حيث هى غيب لا تدرك إلا باللوازم، وهى المحصورة المقهورة المخاطبة، ولبيان تلك الحقائق تقريباً للقوة المدركة ضربت الأمثال، ووضعت التشبيهات والمجازات والكنايات، وكل ذلك لكشف هوية الحقائق المحدثة المقهورة، لتقوم الحجة البالغة على عجز الأرواح وما فوقها، والعقول وما دونها عن أن تحوم حوالى هوية الذات الصرفة الغنية فى وجودها وكمالها عن غيرها، ولـمَّا كان القرآن يدعو الخلق بالحجة البالغة والمحجة الواضحة كاشفاً لكل قوى الحقائق التى يدعو إليها، ولـمَّا كان الإنسان لا قوى فيه تكشف الحقيقة التى تجذب القلب إلى أن يعلم الرب، كان من أهم الحقائق التى تجذبه إلى هذا المقام كشف الغطاء عن حقيقة الدنيا ليتقيها، وليسارع إلى الدار الثانية المسماة بالأخرى، لأن معنى الدنيا يعنى القريبة والأولى، والآخرى يعنى البعيدة الثانية، بيَّن سبحانه كل البيان ولكن لمن سبقت لهم منه الحسنى، فضرب لنا مثل الأفراد فى طمعهم فى الدنيا واعتمادهم عليها بقوله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ﴾ الكهف ٣٢، منبئاً سبحانه أن المعتمد على غير الله أو الفرح بغيره مشرك، حتى يعتمد على الله فى أى مظهر من مظاهر الظهور، وفرحه بفضل الله فى أى ظهور من العطايا. ظهر جل جلاله، ثم ضرب سبحانه مثلاً لجميع بنى الإنسان موقظاً لقلوبهم بقوله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الكهف ٤٥، إشارة منه سبحانه وتعالى أن الفضل ينزله الله تعالى من السماء، أى: من السمو، وإلى أنه سبحانه هو الواحد المتفضل، لأن الماء واحد وبه أحيا كل ذى حياة من الحيوانات والنباتات، وإحياء الجمادات بتنوعها إلى أنواع أخرى من المعادن فالماء واحد وأنواعه كثيرة، والله تعالى واحد وأنواع الخلق كثيرة، فمن لحظ الوحدة فى الماء، والأحدية فى الذات المتجلية، وفرح بفضل الله، واعتمد على الله، ارتقى

على معارج القبول، حتى يصل إلى الله حيث ينضر وجهه وينظر إلى ربه، ومن نسى الوحدة فى الماء، والأحدية فى الذات، وفرح بما يلائم هواه وطبعه، ولا يلبث حتى تفنى النعمة أو يفنى المنعم عليه. فإذا كانت العبارة لا تكشف الحقيقة، وتقريبها بالمثل لا يتدبره الإنسان، فاعتمد على المعراج الذى يعرج به إلى الله ناسياً، وفرح بما لائمه غافلاً عن المعراج الموصل إلى ربه، قامت الحجة حتى لو قال الإنسان العبارة لا تكشف الحقيقة، قيل لك كشفناها لك بالمثل، ولله الحجة البالغة، والعلم بالتعلم، فاطلبه ولو بالصين، والموفق يوفق بفضله من يشاء، وافرح بما نلت من العلم الكاشف لك أسرار الكائنات، حتى إذا انبلجت لك تلك الحقائق علمت أن إدراكها بالعجز والتملق أمام العارف، وتحققت بالعجز عن إدراك ظهور الظاهر فى المظاهر، وبالعجز عن إدراك هويته جل جلاله.

دلائل التوحيد

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ الكهف ٤٥، كشف الله للعقول المجردة عن الهوى حقيقة الدنيا بمثال يجليها للعقول، حتى تكون ماثلة أمامها مثولاً يجعل النفس تتذكر مبدأها الأول، وهو الماء وتطوره فى الأرحام، وفى الأجواء، ونموه واستواءه، حتى ينتهى إلى طوره الأول بعد دورة كماله النوعى، ثم يحصد بعد حاصده (عزرائيل) فترجع الحقائق إلى ما بدئت، محفوظة الجواهر فى أركان الوجود، غير قابلة لتنوع آخر لكمالها. إنا نرى الحقائق إذا كملت أدوارها حفظت كالذهب لأنه أشرف المعادن، فكذلك الإنسان فإنه أشرف الأنواع، ومتى وصل إلى كماله الإنسانى حفظ من أن يتأثر بظواهر هذا الكون، ولما كانت النباتات تفنى فتنوع إلى أنواع أخرى، كان الإنسان لا يفنى فناء يجعله يتنوع فى نوع آخر، بل تحفظ حقائقه حتى يعيد الله نوعه بما قدره له أزلاً، بأن تمطر السماء أربعين يوماً منيًّا كمنىِّ الرجال فينبت نباتاً يؤهله للبقاء الأبدى إما فى جنة أو نار، فكان هذا المثال الذى ضربه الله تعالى مع أنه مثال ولكنه حقيقة وضحت الحياة الدنيا توضيحاً جلياً بينت للإنسان مبتداه وخبره بياناً تطمئن به القلوب المؤمنة.

كل شئ دلائل التوحيد ... ينبى العقل فى مبادى الشهود
فى الكيان المحدود آيات ربى ... فيه غيب الغيوب فى التجديد
سر هذا التجديد كشف المعانى ... وهو آى دلت على المعبود
انظرن فى النبات تشهد غيباً ... يجذب الروح للولى الحميد
حيرتنى آى النبات لأنى ... قد شهدت الوجود سر معيد
حيرتنى آثار قدرة ربى ... طمأن القلب قول رب رشيد
يا إلهى أدر ظهور المعانى ... كى أرى الغيب فى غصون الجديد
يا إلهى وافتح كنوز العطايا ... وفقنى أفى بكل العهود
واشفنى من سقام جسمى وقلبى ... هب لكل الأولاد خير المزيد
أعط خير العطا لآلى وصحبى ... فى حصون المختار فاجعل شهودى

الأمثال طريق تحصيل علم النفس

قال تعالى : ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الكهف ٤٥، لو انكشفت الحقيقة للحس لما ضل ضال ولا غاوٍ، ولكن الله سبحانه وتعالى ستر الحقائق بستار شفاف جداً حتى كاد لا يدرك، وألاح خواصها التى هى طلبة الجسم والحس من طعم ولون وريح ونمو للأعضاء، ولكن الحقيقة من حيث هى التى أنتجت تلك الأعراض بحسب ما هى عليه، فهى كالنفس بالنسبة للحس فى الحيوان لا تكشف إلا لنظيرها فى الحقيقة، ولما كانت تلك القوى فى الكائنات محجوبة بسورها من المادة ولوازمها عن أن تراها النفوس، لأن النفس تأخذ قسطها من تلك الحقائق بالنسبة للجوارح، لسمع من سمع وأبصر، وهذه الأعضاء تلتقط ألواناً وأشكالاً وطعوماً وسمكاً وحكماً على البعد والقرب، وهى أعراض الحقيقة لا الحقيقة، وللنفس بعد علمها بتلك الخواص على الحقيقة حكم لا تدركه الأعضاء، فطريق تحصيل علم النفس الأمثال، لذلك نرى القرآن كثرت فيه الأمثال لتقريب الحقائق للنفوس حتى تدركها، فإذا أدركتها على يقين أنزلتها منزلتها من إيثارها أو إيثار سواها،

والإنسان إن لم ترتسم رسوم الحقيقة على جوهر نفسه لا يتأثر بها ولو علمها من أكمل الأنبياء، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ الكهف ٤٥، تقريباً لحقيقة الدنيا، ليـنزلها المؤمن منزلتها الحقيقية، ويعمل فيها عملاً يوصله للدار الآخرة ليفوز بالنعيم المقيم ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ الشعراء ٨٨-٨٩.

زينة الحقيقة الإنسانية

قال تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ الكهف ٤٦، الزينة ما كملت به الحقيقة، والحقيقة الإنسانية زينتها من حيث الدنيا ثلاث: العافية، القوت، الأمن.

* **العافية** محتاجة إلى ما يحفظها على الإنسان وإلى ما يردها عليه إن فقدها.

* **القوت** محتاج إلى تربية النباتات والحيوانات وإتقان بعض الصناعات.

* **الأمن** محتاج إلى أخلاق يعيش بها الإنسان مع قومه، وإلى عصبة تدفع عن الإنسان الشر وتجلب له الخير، وهذه الجهالات الثلاثة محصورة فى المال والبنين، وقد جمعت الآية الشريفة كل تلك الأنواع، وهى المال والبنون زينة الحياة الدنيا، وللآخرة زينة، ولله زينة يزين بها عباده الصالحين، وللعبد زينة بها يصل إلى الله، وزينة الدار الآخرة محصورة فى الباقيات الصالحات، والباقيات هى كل باقية يرفعها الإنسان إلى ربه فيبقى له أجرها وهى محصورة فى أربعة أنواع: العقيدة الحقة، العبادة الخالصة، الأخلاق الجميلة، المعاملة الحسنة، وكلها باقيات صالحات.

ولا تكون ذخيرة للعبد عند ربه إلا إذا تلقى العقيدة من القرآن الكريم، وتلقى العبادة من عابد عالم، وتلقى المعاملة من الكتاب والسنة، وتلقى الأخلاق بالتشبيه بالسلف الصالح، فمن ضيع أنفاسه فى تحصيل زينة الحياة الدنيا غافلاً عن زينة الدار الآخرة خسر الدنيا والآخرة يقول تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الكهف ٤٦، ثم يجذب قلوبنا ويسكر

أرواحنا بقوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ الكهف ٤٦، وبعد الدنيا والآخرة زينة وجمال قال ﷺ: (الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرامان على أهل الله).

تـــرك الحـظ ســـالك ومـــريـــد ... تـــرك الكـــون صـــادق ورشيـــد
تـــرك الجـنـــة العلـيـــة فـــرد ... نـــور مـــولاه قـصـــده المقـصـــود
تـــرك الكـــشف والـــشهـــود مـــراد ... لاح صرفـــاً له العلى المجيـــد
تـــرك الـترك مـن تحلى بـــوصفـــى ... فـتجلى له الـكـبـير الحـمـيـــد
صـار شمـسـاً مضيئـة فى كنـوز ... يـبـد منه الـرضـا يحل الـورود
مـن يـــرى نـــوره إلى العـــرش ... ويـــواليه بـــالقبـــول الـــودود
يـــا سرورى لمـــا تـــركـت لـتركـى ... ورقـيـت والعـــارفـــون رقـــود
ورقـــى بـــى لقـــدسه وحبـــانـــى ... قـــائلاً أنت يـا حبيبـى فـريـد
لـسـت أهلا لـترك تـــركـــى ولكـن ... حـضرة الـــذات تفعلن مـا تـريـد
كـنـت فى غفلـــة وجهل وبعـــد ... وأولى الجـــد قـــائمـــون سجـــود
نـظـــر الله نـظـــرة فحبـــانـــى ... وإمـــام الهـــدى لـــذاتـــى رشيـــد
حـضرة الـــذات كم لهـــا مـن مـــراد ... خـصـصـته لهـــا فـصح الـــشهـــود
قـــد خلعت العـذار عـن نـور وجهـى ... من رآه بـــالـصـــدق فهـــو سعيـد

سر المبدئ والمعيد

قـال تعـالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ الكهف ٤٨، خلق الله العالم أجمع، ليظهر جل جلاله بآثار قدرته وعجائبها، وأسرار حكمته وغرائبها. واقتضت حكمته جل جلاله أن يظهر فى أول الخلق أمام الأرواح، ظهوراً بلا حجاب، بأخذ إقرارات خلقه على أنفسهم بقوله سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الأعراف ١٧٢، فأقروا واعترفوا بأنه جل جلاله ربنا، بقولنا جميعاً ﴿بَلَىٰ﴾ الأعراف ١٧٢، ثم إنه جل جلاله

عاهدنا، لعلمه أن تلك الأرواح المجردة إذا لابست الأجسام المحدودة، ظللتها بظلال سفلها، فأنْسَتْها عهد ربها جل جلاله، أو سترتها بظلمات حظوظها وأطماعها، فتناست هذا العهد، فقدر جل جلاله أن يعيد من نسى أو تناسى إلى ما كان عليه من الصفاء إقامة لحجته، فكان ما أراده جل جلاله وتحقق العالم بحقيقة أنهم عبيد لله، وأنه الرب المبدئ المعيد، وقامت الحجة بالنسيان أو التناسى، فاستحقوا بذلك ما حكم به عليهم فى الدنيا، على ألسنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم من انتقام بالخلود فى النار، أو من عقوبة للتطهير، أو من عفو ومغفرة، مقرين أن ذلك عدل منه. وأما من سبقت لهم الحسنى، فإنهم عند ربنا لا يمرون على صراط، ولا يرون ناراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ الأنبياء ١٠١-١٠٣.

وهذه الآية الشريفة خبر من الله تعالى، يبين ما تكون عليه حال من كفروا بالله، وكفروا برسوله ﷺ، أو من أمنوا وخالفوا وصايا رسول الله ﷺ، فأما من كفروا بالله فيخاصمهم بقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ الكهف ٤٨.

حرمان القابل

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ الكهف ٥٧، الظلم أنواع وأشده وأنكاه أن يحرم الإنسان القابل الذى يقبل به الفيض المقدس عن الله تعالى، المُفاض عليه بواسطة الرسُل عليهم الصلاة والسلام، فإن حرمان القابل برهان على كمال خبث الطبع وسوء النفس الأمارة، فإن الله تعالى ما تفضل بهذا الفيض المقدس إلا بواسع رحمة منه، وحكمة بالغة فى بيانه، وحجة قاطعة فى تقريره، حتى تتجلى مدلولاته ومفهوماته لكل من وهب له القابل، فيبلغ من ظهوره تمثيل جوهر النفس له تمثيلاً يجعله فوق الملموس المشهود، ومن بينت له تلك الحقائق بهذا الأسلوب وأبى قبولها أقام الحجة على نفسه بأنه أظلم الخلق لنفسه، وأنه لو عاجلته المصائب وأسرعت إليه النقم لا ينتفع بالقبول

بعد، لأن ظلمه لنفسه بلغ نهايته، ولا يبلغ ظلم النفس تلك النهاية فى إنسان إلا وقد سجل عليه القضاء أن يكون من المخلدين فى النار، ودليل ذلك قوله تعالى مُخبراً عن فرعون: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ يونس ٩١، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ غافر ٥٢، وقوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ الأنعام ١٥٨، فأخبر الله عمن لم يقبلوا تذكير الرسل لهم بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ الكهف ٥٧، مع ملاحظة أن جواب الاستفهام لا أحد يعنى أنه أظلم الناس، ولا أحد أظلم منه إلا من عمل عمله، والواجب علينا بعد هذا البيان أن نعادى كل من كذب القرآن ولو أحسن إلينا بكل أنواع الإحسان، وألا نسارع فيهم ولو كانوا آباءنا أو أبناءنا، ومن غفل عن هذا ومال قلبه إليهم أو تردد على أبوابهم ولم يسارع إلى التوبة يخشى عليه سلب الإيمان، أعاذنا الله وإخواننا المسلمين منهم.

إلى الكهف فرى روح من ظلمة النفس ... ليشرق نور العرش صوبك والكرسى
إلى الكهف كهف الشرع قرآن ربنا ... ألا فادخلى توباً إلى الله فى أنس
ولا تركنى يا روح للجسم إنه ... حجاب وخلى روح داعية الحس
إلى الله فرى واجذبى الجسم إنه ... يميل مع الأهواء فى الشك واللبس
أيا روح إن الحس داع إلى الهوى ... ألا فافقهى داعى المحبة للشمس
ألا حصنى جسمى بشرع محمد ... ألا تابعى المختار يا روح لا تنسى
ألا واشهدى نور القرآن لتشربى ... طهور الصفا يا روح بالعين لا الكأس
لقد فر أهل الكهف آواهموا إلى ... مشاهد توحيد تدل على القدس
لقد ألهموا العلم اللدنى نعمة ... من الله فازوا بالمشاهد والأنس
أيا رب هبنا الحب منك تولنا ... وجملنا بالحال من غير ما بأس
أيا رب فى أرض البرلس عمنا ... بنورك حتى تشهدن العين فى الرأس
أيا رب أيدنا بروحك وافتحن ... كنوزك يا مولاى فى اليوم كالأمس
أيا رب فرحنا بفضل ورحمة ... أيا رب أنزلنا بروضات فردوس
أيا رب واجمعنا عليك وأظهرن ... جمالك فى الدنيا وفى روضة الرمس
أمتنا على الإسلام عمر قلوبنا ... بحق يقين زك يا سيدى نفسى

العلوم اللدنية

مجمع البحرين

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ الكهف ٦٠، الكون كله مرآة لمعانى الأسماء والصفات بحسب جمالها وجلالها، وسيدنا محمد ﷺ هو روح هذا الكون، وهو الروح الكلية التى تشعشعت عنها مقتضيات تلك المعانى، وهو الصورة الأكملية لجمال وجلال وكمال أسماء صفات الربوبية، والرمز العالى للغيب المصون الذى ليس له مظهر لعيون أى حقيقة، والأعلون فمن دونهم يستمدون حقيقة العلم العالى من تلك الروح الكلية، وعلم بذلك من علم، وجهل بذلك من جهل، بل هو البرزخ الحقيقى الذى يُفاض عليه تلك الشئون الربانية فتسرى إلى عالم الأرواح والنفوس والعقول، وشئون المعانى التى تغذو العقول والحس والجسم، وهو فوق ذلك ﷺ، جوهرة كنز معانى الصفات فمنه وبه وله كل كائن، قال ﷺ: قال الله تعالى: (إنى خلقت محمداً لذاتى، وخلقت آدم لمحمد، وخلقت كل شئ لبنى آدم). ولما كان كمال العبودية محصوراً فى أفراد الوجود من أولى العزم وكُمل ورثته ﷺ، يجب أن يتحقق بأكمل معانيها فيهم، وكان من الغيب المصون ما لا يدرك بالعقول ولا بالنفوس ولا بعيون الرءوس، ولا طريق لوصوله إلى النفس إلا بالتلقى كما تلقى آدم من ربه، وكما ابتلى إبراهيم فتلقى، وكما ابتلى موسى فتلقى من العبد المتحقق بالعبودة، حتى ذاق طهور ذات الغيب المصون. كل هذه المراتب والمقامات لتتصل بالروح الكلية اتصال الفرع بالأصل أو رجوع الحق لصاحبه الذى له، وكانت العلوم الشرعية تقتضى الوقف عند الحد الشرعى، حتى لا تتجاوزه إلى ما وراء العقل النورانى إلى ما فوقه من مشاهد الروح القدسية تمكيناً، ومن كسوف الروح الملكية تلويناً، فإن الشريعة المطهرة لكل النفوس حتى تشاكل وتجانس بناحية ما من الأنحاء النفس القدسية فتريحها من شغلها بتلك القوى بسبب تسليمها وانقيادها لها، وتلك النفس القدسية هى التى تقتبس الغيب المصون من الروح الكلية. ولما كان هذا العلم أعز وأغلى وأعلى من أن يناله أحد إلا بفضل الله تعالى، وببذل المجهود من العبد فى طلبه كشف الله لنا تلك الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ فى أن يهاجر من رياض شهود يانع أنهار العلم الذى تلقاه بالروح الملكية، التى ترد بحر الحقائق من دون السماع من عبد

إنسان تكمل تمكيناً بالعبودية بعد العبادة والعبودية، لذلك لزم موسى عليه السلام مقام الطلب وبذل المجهود فى التحصيل إظهاراً لاستعداده للعبودة وتجملاً لتحقق أهليته، وهذه الآية تدل على طالب المقام الأعلى لا يكلف غيره مما ليس له أهل إلا بالالتماس والترجى، وشرح الحقيقة له هو أدب الله تعالى لأولى العزم الذى يجب أن يراعيه أهل هذا المقام. لم يحصل موسى ما حصله من الخضر من العلم، لأن الروح الملكية وإن علت لا تتحمل، وليس فيها من القوى التى تتحمل بها معانى الأسماء والصفات جميعها فعلاً، اللهم إلا أن يكون صاحب هذا المقام العلى قد علمه القوى الخبير المتين العليم كما هو ثابت لحضرة الروح الكلية ﷺ. ومن هنا نعلم أن العلم كله فى العالم كله، ولو أن العلم كله جمع لعجز عن تحمله كل العوالم إلا بمعونة الله تعالى، وقد جعل الله له فرداً واحداً خاصاً أقامه مقامه فى صريح القرآن، وجعل كمال اتباعه فوزاً بمحبوبية الله تعالى، وجعل المبايعة له ﷺ، المبايعة لذاته جل جلاله، وجعل... وجعل، وبذلك كانت ليلة مولده الشريف للمسلمين خيراً من ليلة القدر، لمعنى خاص تحلو الإشارة إليه فى خلوة العبد بروحه، عندما يحصل الإذن له بأن يتلقى من سبوحه. منحنا الله جرعة من صافى شراب هذه المحبة، وأسبغ إحسانه حتى يسقينا شرابه الطهور إنه مجيب الدعاء.

شهود سر القدر

قال تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ۝ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ الكهف ٦٩-٧٠، العلم بمعناه لا يتحقق فى ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته العلية وفى كماله المقدس، وأما ما سواه فقد يبلغ الإنسان الكامل منه ما فوق العلم بعين اليقين وهو الشهود، وما فوق الشهود وهو الإدراك بحق اليقين، وقد بلغ أولو العزم من الرسل من العلم بالله مبلغاً لا يتعداهم إليه غيرهم، ولا ينقص مقاماتهم العلية ما يبلغه بعض أهل الخصوصية من كُمل أحباب الله وأوليائه من شهود سر القدر، ومن التصريف الأكبر بالحال والهمة والكلمة، فإنها مواهب يتفضل الله بها عليهم، كما يتفضل على أهل الكفر به من القوة والمنعة والتمكين فى الأرض بالباطل، فإن العالم كله عبيد لله مقهورون وخلق لله مربوبون، قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ مريم ٩٣، ولما كان العلم بسر القدر لأهله، وتنفيذ مراد الله تعالى فى خلقه يخالف

الأمر والنهى الذى شرعه الله وكلفه، لذا قد يخفى على كثير من الرسل الكرام لإقامتهم فى الدعوة إلى الله، وهو معقول لذوى العقول.

مجمع البحرين رمز الاقتراب ... برزخ البين به سر المتاب
برزخ للفصل والوصل به ... جاذب للاقتراب فتى أناب
صح فيه الاتحاد لمن صفا ... وانمحى البين به كشف الحجاب
مجمع البحرين رمز منبئ ... باليدين فذق معى صافى الشراب
بين ملح حافظ رتبته ... بل وعذب يحيى ذرات التراب
روح تشبيه أضاءت للنهى ... غيب تنزيه بدا لب اللباب
مجمع البحرين مظهر ظاهر ... أشهد العينين أنوار الجناب
ستر المظهر بالنور الجلى ... والظهور مستر بالانتساب
أشرق الظاهر للروح التى ... منه قد نفخت بهيكله المهاب
وى وقد صعقت معالم رتبتى ... هل أنا غيب رآه من أناب
برزخى رمز لكنز غامض ... من رآه بالصفا القدسى طاب
هيكلى لوح التجلى مشرق ... من رأى آياته فى الحق غاب
فر منه إلى الحقيقة جامعاً ... فارقاً يرجو المهيمن لا الثواب
مجمع البحرين رفرف من صفا ... فيه حق العين من غير ارتياب
مظهرى يخفى ويجلى ظاهرى ... فى ظهور فوق منهاج الصواب
وى كأنى كنز غيب غامض ... عن نهى أهل المباحث والحجاب
لم يروا منى سوى ظلى الذى ... ستر الأنوار عن عين الدواب
من يكن أعمى عن النور الجلى ... فهو أعمى بل أضل لدى الإياب
نور إشراقى أضاء بلا خفا ... لم يستره غروب أو غياب
من لدى ﴿كُنْ﴾ قد تضئ حقيقتى ... أسجد الأملاك لى حال الجواب

الفصل الرابع

العلم والعمل والاعتقادات والعبادات

العلم

ليس العالم من حصل العلم كمقادير الجبال، إنما العالم من عمل بعلمه ولو مسألة واحدة، والعلم يحصل للعمل به لا للرفعة والعلو فى الأرض بغير الحق، أو للمماراة والجدل أو للتوسط إلى الأمراء والملوك.

ومن حصل العلم ليجعله وسيلة للعَرَض الفانى، سجل على نفسه الشقاء فى الدنيا والآخرة، كالعباد الجهلاء الذين يتجملون للعامة بكثرة العبادة، ليفسدوا عليهم عقائدهم وليسلبوا منهم أموالهم. والعلم الحقيقى هو العلم بالله، وبأيام الله، وعلم المسلم بنفسه، وعلم ما يجب عليه عمله، وعلم حكمة ما يعمل من أحكام الله حتى لا يضيع الوقت فى تحصيل ما لا يجب عليه.

بشرى لمن علموا وبعلمهم عملوا ... فازوا بنيل الرضا وربهم وصلوا
العلم قربهم لشهود خالقهم ... حتى لقد شهدوا لما به اتصلوا
العلم نور من الرحمن يمنحه ... أهل الصفا من عن الرحمن ما عدلوا
لم تلههم بهجة الدنيا وزخرفها ... فروا إلى ربهم حتى به نزلوا
العلم يجذبهم للحق مقصدهم ... والمصطفى قدوة العلماء إن عملوا

وظيفة العالم فى العالم

ليس من حصل العلم ليفهم عبارات المتقدمين فأضاع أكثر عمره فى ذلك، وضيع بقية العمر فجلس ليعلم غيره بعالم، إنما العالم من تصور رسوم المعلوم حتى صار صورة على جوهر نفسه، فحصلت له رعاية ما علم فى كل حال وشأن، فكان نجماً يهتدى به فى ظلمات الشبهات، وشمساً تضئ آفاق سبل الحق، فنفع أهل عصره بعمله قبل علمه، وبعلمه وحاله، وهذا هو العالم الربانى الذى أثنى الله سبحانه وتعالى عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ

عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ فاطر ٢٨، هذا هو البدل عن رسول الله ﷺ، والقطب الثابت الذى لا يتغير ولا ينتقل، ويسمى بدلاً لأن الله جمله لوراثة رسول الله ﷺ، وسمى قُطباً لأنه لا ينتقل من مكانة اليقين ومنزلة التمكين مهما كانت الحوادث والظروف، وإليك أمثلتهم رضى الله عنهم وما أكثرهم فى أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم بإحسان، وما أقلهم فى زماننا.

أمثلة العلماء العاملين

عُذب سيدنا بلال فى الله أشد العذاب، فلم يزدد إلا يقيناً، وعذب سيدنا ياسر وعمار ابنه وزوجته سمية، حتى مات ياسر وزوجته فى العذاب ولم يزدادوا إلا يقيناً، وعذب أكابر الصحابة حتى خرجوا إلى الحبشة مشاة، واليقين ينمو والشوق إلى الله يزداد، ثم انتقل هذا اليقين إلى التابعين، فعذب الحسن البصرى وابن جبير وابن المسيب وغيرهم فازدادوا يقيناً وثبوتاً على الحق، ثم أكابر العلماء من بعدهم كالزهرى والثورى وغيرهما، ثم ضرب أبو حنيفة رضي الله عنه ليتولى القضاء فأبى خشية من الله بعلمه، ثم ضرب الإمام مالك رضي الله عنه وأهين ليقر على حكم لم يره فأبى، ثم ضرب الإمام ابن حنبل ليعترف بحكم لم يره فأبى أن يقر عليه، وأهين الإمام الشافعى رضي الله عنه من مخالفيه، وهو ثابت لا يتزلزل، ثم هدد ابن جريح وابن سمعون ومالك بن أنس رضى الله عنهم بالقتل من أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور، فثبتوا على ما هم عليه، فهابهم أبو جعفر وأكرمهم.

دعا أمير المؤمنين هارون الرشيد مالك بن أنس، ليقرأ له درس حديث فى منزله، فعظم العلم ومحله. وقال: العلم يؤتى إليه، لا يؤتى به.

وزار هارون الرشيد المدينة، فلم يخرج لاستقباله فضيل بن عياض، فوشى به الربيع وزير هارون، ليوغر صدر أمير المؤمنين عليه، فقال هارون: (رجل عظم محل العلم، يعظم)، وأسرع لزيارته بنفسه ليلاً، فلما علم فضيل به، أغلق فى وجهه الحجرة، وأطفأ فى وجهه السراج، ففتح الحجرة قهراً، فاختفى فضيل فى صفة، ففتش عليه هارون فى الظلمة، حتى قبض على يده فلما مس فضيل يد هارون قال: يد ما ألينها لولا أنى أخاف عليها عذاب الله تعالى، فبكى هارون.

أتظن أنك بالعلوم تقرب ... وبفهم أسرار بها تتحبب
خانتك نفسك فانتبه من غيها ... واعلم يقينا أن علمك منصب
العلم علم القلب بالنور الذى ... يوليه فضلاً ليس فيه تناسب
فإذا أضاء القلب لاح جماله ... بجميع أعضائى وتلك مواهب
فيكون ظاهره الخشوع لحكمه ... وبطونه العظموت منه فيرهب
يرمى الدنا لا يرجو غير رضا الذى ... أنواره ظهرت لقلب يرغب
الذل حليته وشرعه أحمد ... نهج له وهى الصراط الأقرب
لا يلتفت لحظوظه أو شهوة ... أو سمعة إذ ذاك نار تلهب
يبغى الرضا والفضل وهو مرادهُ ... وجميع ما فى الكون شغل متعب
الله ربى والحبيب محمد ... شمس الهدى فى مهجتى لا تغرب
هذا سبيل أرجو ربى نيله ... بالفضل حتى بالصفا أتقرب

❊ ❊ ❊

علوم المعرفة الإلهية

إن علوم المعرفة الإلهية ليست علوم الجدل، لأنها تتلقى بآذان اليقين، وتشهد أسرارها بعيون اليقين، ومن لم يمن الله عليه بآذان اليقين، وعيون اليقين فليجاهد نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ الأنفال ٢٣، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ الروم ٥٢، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ الأعراف ١٧٩، فهل بعد حكم الله عليهم بأنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً من الأنعام يمكن أحدهم أن يصغى إلى علوم اليقين، أو يفقه كلام الله! هذا ما لم يقل به مستبصر.

وأنبه إخوانى أن يخفوا تلك الأسرار بقدر استطاعتهم، وأن يشتغلوا بعلوم الأحكام الشرعية والقيام بها أكمل قيام، رحمة للعامة ورضاء لله ولرسوله، ويجعلوا أسرارهم هذه

وخصوصياتهم فرحاً بفضل الله تعالى عليهم وبرحمته سبحانه بهم، حيث اجتباهم بما اجتبى به أهل محبته، وصافاهم بما اصطفى به أهل عنايته، حفظاً على دوام أنسهم بالله، ومحافظة على الوقت من الضياع.

غـــريـــب علـمـنـــا عـــن كل عـقـل ... تـعـقـل فى المـبـــانـــى بعـــد نـقـل
هـــو المكنـون عـن حـسـى وجـسـمـى ... ومـضـنـــون فلا يـــدرى بقـــولى
يـــدار على الـنـفـــوس بلا قـــداح ... طهـــور الـــراح جـــذاب لـــوصلى
سـقـــــاه الله لـلأرواح بـــــدءاً ... فكـــان الاصـطـفـــا من غير فـصل
علـوم صـورت غـيـبـاً مـصـونـاً ... عـلى الأرواح مـــن أسرار أصـلى
فـسلم فـالغـيـوب تـرى عـيـانـاً ... لفـــرد قـــد يـسـلـم لـلـتجلى
وخل العـقـل يحكـم فى المـبـــانـــى ... فغـيـب العـقـل مـسـتـــور بـظـل
وتلك الـــروح تـسبح فى المعـــانـــى ... لـتـــشهـــد نـــور وجه الحق حـــولى
جـــوارح هـيـكلى ستر لـــروحـــى ... وروحـــى فـــوق عـــال فـــوق كلى
تـــرى أنـــوار أعلى فى صفـــاهـــا ... تمنح مـــا تـــشـــا مـن محـض فـضل

* * *

الذل والانكسار لله

ومن أراد الله به خيراً فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللجوء إليه سبحانه، والافتقار إلى رؤية عيوب نفسه، وجهلها وعداوتها له، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره، وغناه وحمده، وهذا معنى قوله ﷺ: (سَيِّدُ الاسْتِغفَارِ أَن يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِى وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِى، فَاغْفِرْ لِى إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ) فجمع ﷺ فى قوله: (أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِى) جمع فى ذلك أمرين:

الأمر الأول: الاعتراف بمنَّة الله ومشاهدتها.

والأمر الثانى: مطالعة عيب النفس والعمل.

فالأمر الأول: وهو مشاهدة نعم الله يوجب المحبة والشكر والحمد لولى النعم والإحسان.

والأمر الثانى: وهو مطالعة عيب النفس توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة فى كل وقت.

وأقرب باب إلى الدخول على الله، هو باب الافتقار، فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً، ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلة منه يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والحاجة إليه سبحانه دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه، حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويداء قلبه فانصدع، وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد حاجته واضطراره إلى ربه عز وجل، وشديد فاقته إليه، وأن كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فى فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى، وأنه إذا تخلى عنه سبحانه طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يتلطف به ويتداركه برحمته، ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، والله الموفق.

ذلان، ذل عبودة وذنوبى ... ذل العبودة قد يليح عيوبى
قد جئت مضطراً لسوء خطيئتى ... أرجوك يا مولاى ستر عيوبى
هب لى العبودة فى انكسار أشهدن ... قلبى على الغيب من محبوبى
وفق لما ترضاه عبداً مذنباً ... قد تبت يا مولاى بعد مشيبى
تلك الليالى جئت ملتمس الرضا ... يسر لى الإحسان هب مطلوبى
قدر لى الخير اشرح سيدى ... صدرى أدر لى سيدى مشروبى
طهر من الأخطاء عبدك كن له ... عوناً على الإقبال والتقريب
يسر لى الحب القبول تولنى ... حتى أنيب إليك قبل غروبى
أمت العبيد مجملاً ومؤآنساً ... حتى أكون إليك خير منيب
سقمى وشيبى سيدى وخطيئتى ... قد أوجبت خوفى وطول نحيبى
هب لى خفى اللطف واستر سوأتى ... بدل خطايا العبد يا محبوبى

لم تيئسن نفسى الخطايا سيدى ... أنت الغفور أنت خير مجيب
خذنى إليك بصولة الحب التى ... تعطى بها الرضوان خير نصيب
أعذ العبيد بنور وجهك سيدى ... واقبله فى أنس وفى ترحيب
حتى أموت مؤآنساً ومقرباً ... اسمع إلهى نفس عبدك طيبى
فى مقعد الصدق اجعلن لى موئلاً ... فى جار فرد الذات خير حبيب
عند المليك المنعم البر الذى ... أغنى وأقنى فى صفا تقريبى
تلك الليالى فامنحن فيها العطا ... للمقبل التواب والمحبوب
وافتح كنوزك يا سريع بوسعةٍ ... أغنى بها من فضلك الموهوب
واجعل لنا الخير العميم مجدداً ... فى وسعة الإحسان لا المنسوب
فى الحل والترحال أسعدن بما ... عودت من خير وغفر ذنوبى
أكرم بنى وإخوتى فى الله هب ... عفواً وغفراناً لكل معيب
وافتح كنوز العطف كنز عوارف ... حتى بحبك احتسى مشروبى

الإيمان

الإيمان عمل القلوب وعمل الصالحات وعمل الجوارح الناتج عن كمال صدق، ومن صدق بالغيب – أى من غير شهود ولا حجة يطمئن بها القلب – دل ذلك على أن نفسه صيغت من النور، الذى خلق الله منه أرواح الأخيار، فقبل خبر الصادق باستعداد النفس لقبول الحق، الذى هى مؤهلة لقبوله لمجانستها لعالم الصفا، ومتى عمل القلب – وعمله تصديق المخبر فى خبره، وقوى تصديق القلب حتى أسفرت أشعة الإيمان على الجوارح من نور التصديق، عملت الجوارح فى إخلاصه بقوة تصديق القلب، فاتحد عمل القلب وعمل الجوارح بصدق من القلب، مسارعة إلى القيام بما أوجبته الشريعة، ورثه الله علم ما لم يكن يعلم من مزيد الإيمان، فصار العبد بذلك محسناً لأن الله تعالى منحه علم الغيب المصون، الذى صار به يعبد الله كأنه يراه، وهو مقام الإحسان الذى يحسن فيه العبد العمل، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف ٣٠، يعنى إن الله لا يضيع أجر عمل المحسن

من أن يضيع بما يشوب الأعمال من الغفلة، بسبب فقد المراقبة وحرمان العصمة، ومتى عصم الله العبد وجعل له نوراً، تستبين له به مواطن فطر النفس المهملة ودواعى الحظ والهوى، جمله باليقين الحق وبالمسارعة إلى محاب الله ومراضيه، فيصير عالماً عاملاً بقلبه وجوارحه، مُقبلاً بجواذب الحب إلى باريه.

بالفعل لا بالقول والأحوال ... نيل الأئمة حظوة الأبدال
والفعل حجة مدع أيد به ... دعواك فى الإدبار والإقبال
صبر على فعل الفضائل سرعة ... فى فعل ما يرضاه من أعمال
فى الليل قوام نهار صائم ... حج جهاد النفس حب الآل
ثم الرضا عما يقدر قادر ... فى أنس قلب بالولى الوالى
والصبر نصف الدين حقاً والرضا ... هب لى الجمال الصرف خير معال
مالى من الإحسان فضلك سيدى ... هب لى وصلاً فى المقام العالى
أيقنت أنك منعم متفضل ... أوليتنى التفصيل فى الإجمال
إن أنت حاسبت الذليل فإنه ... يهوى إلى النيران فى إذلال
لكن يقينى الحق أنك سيدى ... أعطيتنى فضلاً على أمثالى
أوليتنى الإحسان فى الدنيا امنحن ... خير المزيد رضاك خير مآلى
وأعذ ضعيفاً بالجمال تولنى ... هب لى إلهى أجمل الآمال
واحفظ بنى تولهم فرحهمو ... جملهمو بالحال إحساناً والإقبال
وأعزنى بالشكر وفقنى لما ... فى الحل إحساناً وفى الترحال
وتوفنى ربى منيباً مسلماً ... حتى أنال العفو فى إقبالى

الإيمان والعقيدة

هل يتأتى للناس أن يعيشوا بغير إيمان وعقيدة؟ والجواب: إن الناس لا يستطيعون أن يحيوا بغير إيمان يعصمهم ويثبت خطاهم، واختلاف المذاهب فى الدين لابد منه لإخصاب الفكر الإنسانى، لأنها تقيم قاعدة لتفكيرنا. ما معنى أن يكون المرء معتقداً إلا إذا كان ملتزماً بعقيدته، ضنيناً بإيمانه، عاملاً بأحكام شريعته، داعياً إلى اتباع دينه؟!

الجاحد والمؤمن والعارف

قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الواقعة ٧-١٠، سيحشر الناس أزواجاً ثلاثة كما فى سورة الواقعة. فأهل الشمال هم الجاحدون غير المقبلين على الله، وقد تكون أيدى هؤلاء غنية، ولكن قلوبهم فقيرة.

وإن أهل اليمين هم أهل الإيمان بالله، وقد تكون أيديهم فقيرة، ولكن قلوبهم فى غنى بالله.

وأما السابقون فهم العارفون المقبلون على الله من كل وجه، المشتاقون لمعرفته ليس غير، وهؤلاء الذين قال عنهم عمر بن الخطاب يعنى صهيباً: (لو لم يخف الله لم يعصه)، أى أنه مطيع لإحسان الله السابق، لا للجزاء على ما فعل.

رهبانية الإسلام

قال ﷺ: (رهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله)، فالرسول ﷺ يعطى الرهبنة معنى إيجابياً، وليس المعنى السلبى الذى ألفه الناس وتعارفوا عليه، من انقطاع عن الدنيا وانطواء على النفس وانعزال عن المجتمع، أو السير مع تيار الباطل.

لكن رهبانية الإسلام "الجهاد"، وهو مقاومة التيار الباطل ومواجهة المعتدين، فالرهبانية الحقة هى التى تحول قوى الإنسان إلى عمل إيجابى، يحق الحق ويبطل الباطل.

الإسلام والمذاهب الأجنبية

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة ٣، ما لمعتنقى المذاهب الأجنبية من المسلمين يريدون أن يفرضوا أهواءهم على الإسلام، وأن يوجهوا تعاليمه وفق هذه المذاهب، مع بتر ما يزيد عليها من نصوص أو تجاهل وجوده! واجتهادهم فى المواءمة بين الإسلام ومذاهب الغرب للصالح العام كما يتخيلونه يغاير الاجتهاد المشروع الذى قرره الدين، وعرفه أئمة الإسلام فى عصوره الزاهية الطويلة، إذ إن هؤلاء المفتونين بالمبادئ المستوردة من الغرب مرادهم أن تفرض نزعاتهم الجديدة على الإسلام، وأن يقوموا بتأويل ما يتعارض معها.

إن الاجتهاد الصحيح لا يرضى بأن يضع المجتهد أمام عينيه رأياً أو قانوناً أو نظاماً، ثم يلوى رقاب النصوص الإسلامية حتى يسوقها إليه، ولكن المجتهد يستوحى النصوص الإسلامية حكمها وحكمتها فى هذه القوانين والآراء والنظم، ويخضع لهذه النصوص دون سواها.

عظمة الإسلام

إن سر نجاح الإسلام وسر عظمته، قدرته الفائقة على إشعار المؤمنين بأهميتهم، وهتافه الدائم بأن الكلمة كلمتهم والإرادة إرادتهم، وأن الدفة كلها فى أيديهم، وإذا كانت أهمية المؤمن – أى مؤمن – لا تتمثل فى شئ كما تتمثل فى الحاجة إليه، فإنه متى أحسن هذه الأهمية لبَّى نداء الحاجة إليه، ووقف على ثغر من الثغور يحقق واجبه المحتوم الذى يربطه بالمجتمع بروح نشيط من الثقة والألفة والمحبة وواجب الوقت.

لباس التقوى

لباس يحفظك من الآثار، وآخر يحفظك من الأبصار، ولباس يحفظك من شيطان الحظ، ووحش الشهوة، وبهيم الهوى، وطمع النبات، وجبن الجماد، وهو خير لباس يهبك الله، به تكون فى جنة الشهود ونعيم الوجود، من غير كد ولا جهود ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ الأعراف ٢٦،

وهذا الثوب القشيب هو الحُلة لحفظ مرتبتك عبداً عابداً لرب قادر حكيم معبود، باطن هذه الحُلة كمال اليقين بقدره، وظاهرها جمال صفات ربك، فالبسها شاكراً من وهب لك ظاهرها، حاضراً بالفضل برتبتك مع من صاغك بيده، لتسارع بما وهب لك منه إليه، أعط كل ذى حق حقه، واحفظ لنفسك حقك تكن عند ربك، ولديها يغنيك الله بحُلة الجمال الموجود منه لك عن كل ما تجهد نفسك فى نيله بك، والحظ قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الزمر ٣٢، كن يقظاً حيطة من عدوك فإنه فتان، يخرج أهل الحجاب من جنة الشهود والنعيم، فينزع عنهم تلك الحُلة المطرزة بجمال معانى الصفات، والحظ خطاب ربك: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ الأعراف ٢٧، واتل بروحك ما حذف من هذا الخطاب من معنى فيخرجك من الجنة بنزع عنكم لباسكم، كما أخرج أبويكم. وحفظ تلك الحلة ينزلك إلى الماء المهين أو إلى مرتبة الطين، ولو آنسك الروح الأمين، فإن تنزلك محبوب ربك، ومؤانستك محبوبة نفسك، فاحرص على ما يحبه الله، واسأله المعونة على ترك ما به يكون الحجب ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ البقرة ٢٥٧.

فر من اللبس إلى لبس ثياب التقوى، فطهر لباس الإيمان وتجمل بريش الإحسان، وطر سائحاً فى ملكوته الأعلى متجملاً بلباس التقوى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ الأعراف ٢٦، وهو الإيمان، ﴿وَرِيشًا﴾ وهو الإحسان، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهو اليقين الحق ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ﴾ لأنه كمال الأدب فى مكانة العبودة، وبها يرفعك الله مكاناً علياً، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ آل عمران ١٣٩، مع قوله جل جلاله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ مريم ٥٧، فذُق حلاوة الأعلى تلحظ ما فيك مما أخفاه عنك وأظهره للملائكة، فأنت مرآة تلك الأنوار، وكيف تشهد الملائكة ما فيك، ويحجب العبد عن شهود ما فيه مما به يواليه! والمُقبل على الله يُقبل الله عليه، حتى ينمحى البين من البين وتقع العين على العين.

العبودة والعبودية والعبادة

للعبودة شراب من عسل مُصفى، وللعبودية شراب من طهور صاف، ولأهل العبادة شراب من ماء غير آسن، والأفراد يشربون بالعين فى مقام محو البين من البين ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ

مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات ١٦٤، بين مقام الاتحاد ومقام الأنوار برزخ الشهود، فأهل الاتحاد مرتبتان: مرتبة اتحاد الإرادة والأمر، ومرتبة اتحاد العلم فى حقيقة المشاهد. وكلا المقامين شهودان، لا وجود لواحد منهما. وأهل الانفراد أثبتتهم المجالى بكمالاتها، فغابوا بها عن شهود الفناء والجمع والبقاء والفرق حتى كانوا به له فيه، لا يسير بهم عنه وطراً إلا إليه، ولا تقع عيون أرواحهم إلا عليه، فهو معالم بين أعينهم لا يغيبون، وهم بأعينه لا يُحجبون، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ الأنعام ٣، لله ألوهيته المطلقة فى مقام الأحدية، وله الظهور المطلق فى مقام الربوبية، وهو الظاهر والباطن، غاب عن عيون نفخة القدس عظمة وعلواً لا جفوة وبعداً، حققهم بالعبودة الخالصة المخلصة، فكانوا محافظين على مكانتهم، وهو يحفظهم له به، والتفريد منه لهم، ومنهم به له، أفردوه سبحانه بالمحبوبية، وأفردهم سبحانه بالعبودية فى حفظ العبودية والفناء، فهم العباد المجملون بجمال العبودة فى مقام التفريد ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ السجدة ١٧، به له فيه منهم، سر قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ الأحقاف ١٦.

عبودية وعبودة فى عبادة ... محق وسحق بعد نيل الزيادة
لديها فنور الوجه يشفى تكلفى ... وأظهر عبد الذات نيلى سيادتى
ومن بعد هذا ﴿كُنْ﴾ بها كشف رتبتى ... لـ ﴿كَانَ﴾ وتعريفى بسر الإرادة
وأمر به التجريد قدرى مكانتى ... ونهى به علمى بحسن الإعادة
وما أنا فى ذا الأمر والنهى راغب ... ولكنه بدء يليح إعادتى

أنوار العبودية

إذا أشرقت لك الأنوار التى فيك منه، سلبت منك ما كان لك وهماً ودعوى، وأثبتك له جل جلاله عبداً فى جنة المأوى. جنة مراقبته فى نعيم مواجهته، ورقاك بجواذب عنايته وإحسانه إلى أعلى من ذلك، جنة رضوانه، فرضى عنك سبحانه ورضيت عنه، فكنت راضياً مرضياً شاهداً مشهوداً.

ألاح لك ما به تفضل عليك، ليشهدك إحسانه المتوالى إليك، فاشهد نشأتك الأولى، والحظ سر العناية، واثبت له ما زاد على ما علمت من النشأة الأولى، وكن فى مقام تنزلك حاضراً، تشهد نوره تجاهك ظاهراً.

عبد أنا والعبودة تاج إحسان ... قد توجتنى به ألطاف حنان
تاج العبودية غال ليس يمنحه ... إلا الذى فر من حظ وأكوان
أوليته منة منعم معط ... لكننى جاهل فى صورة الفانى
جماله بى محيط فى الشئون أرى ... مالا يلائمنى روحى وريحانى
وما يلائمنى حجب ومعصية ... يظلل الروح من سهوى ونسيانى
تحلو العبودة فى سقمى فأشهد ما ... يلوح فى رتبتى فى المشهد الثانى
وى والعبودة سر لا يفوز به ... إلا الفتى المجتبى يسقى من الحان
نال اتحاد انتساب فى الإرادة فى ... أمر ونهى بتأييد وبرهان
والجاهل الخب لا يرضى العبودة ... بل يرضى الملائم فى غى وبهتان
السقم يشهدنى قدرى ومنزلتى ... عبد لرب تعالى فوق إمكان
فيها الرضا والصفا والحب ... والمعنى وصل اتحاد بل قيد وألوان
أعدت للضعف وهو البدء أشهدنى ... أنى به فيه منه حق إيقان
فى الضعف كنت له عبداً بلا ظل ... أعدت للضعف صرت عبد رحمان
فى الأنس لم أشهدن إلا ضيا وجه ... منزه قد حبانى خير إحسان
أعدتنى فأعد صفوى مؤانستى ... حتى أتوب إلى ربى بإيمان

مراتب الشهود فى العبادة

القيام بأعمال الشريعة وفاء، ورعاية أدب العبودية صفاء، والفناء عن رعاية هذا الأدب اجتلاء، والرجوع إلى الخلق بعد الوصول إلى الحق عبودية واجتباء، والقيام بالحق للحق مقام الرجل اصطفاء، وأكمل مقامات الاصطفاء أن يخبرنا الله تعالى: أنه ظهر، وستر بظهوره

حبيبه، فأقامه مقامه، وكان هو ـ جل جلاله ـ المشهود للأرواح فى حال النيابة. وهذا المقام الفردى الأحمدى سر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ الفتح ١٠، وسر قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الأنفال ١٧، ولأهل التمكين من أبدال أولى العزم شميم من هذا العبير، ولكن بنسبة ما للعبد للعبد، وما للحق للحق، سر قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ الأنفال ١٧، فأثبت لنفسه القتل ولكنه سبحانه أثبت لنفسه الرمى الذى هو عمل حبيبه فى الحقيقة، ليظهر ما لحبيبه عنده ولديه، ومن الأدب فى هذا المقام تفويض الأمر لمن له الخلق والأمر، فإنه الولى ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ البقرة ٢٥٧.

لترى المعانى نوع القربات ... ولتظهر المجلى بذى الآيات
وتلوح أنوار التجلى قدرت ... رتب الوجود سلبها الإثبات
فتنوع القربات رمز منبئ ... جماله وجلال مجلى الذات
وأنا المكلف مظهر لظهور ما ... هو سر إيجادى بسور جهاتى
ومع التكلف بالظهور أنا أنا ... متجمل بالآى فى الكلمات
فأصوم تجريداً أحج موجهاً ... وجهى إليه به له إخباتى
وبفك هذا الرمز تظهر رتبتى ... هى كنزه طلسمه صلواتى
فلى الجمال إذا أفاض جماله ... بجماله تخفى به هيئاتى
وظهور بدئى للعهود لأحتسى ... راح الصفا متجملاً بصفاتى
فأنا الجميل مجمل بمحاسنه ... منه له فيها المات حياتى
وأنا الدنئ بنشأتى الأولى بها ... ظهر الضياء برسمى المشكاة
رتب الوجود جليها وخفيها ... مثل لذاتى وهى كالمرآة
فيرى جمال تقربى فى قربتى ... متستر بتنوع الطاعات
فأحج قصداً للرجوع لمبدئى ... وجهاد نفسى مبدأ القربات

أسرار العبادة وحكمتها

عند المالكية لا يصح إمامة من يأخذ أجراً على الإمامة، وقد أحلها أبو حنيفة أجرة تعطيل وقته عن شغله بالمعاش، ولكن عند المالكية إذا صلى لله وأعطوه كان حلالاً، وإذن تكون على نية الهدية وإلا كانت حراماً، قال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات).

والرجل الذى لا يصلى إلا بشرط الأجر لا تجوز إمامته، لأنها ليست لله ولكنها معللة بأخذ الأجر من الناس، فإذن خرجت الصلاة عن كونها خالصة لله.

وقد قال تعالى: ﴿لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ البينة ٥، وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ الزمر ٣، والواجب على أهل بلده أن يعطوه على نية الصدقة إن كان فقيراً، أو على نية الهدية إن كان محتاجاً إليها.

انظر فى عبادات أهل السلف وعلمهم وسعيهم وراء العلماء العارفين، حتى انكشفت لهم معانى الأحكام الشرعية، وتبينت أسرار العبادة وحكمتها لهم.

نوع الأحكام رمز الاتحاد ... فانجلت حكمته بالانقياد
نوع الأحكام كى يجلى بها ... نور أسماء التجلى باعتقاد
أظهرت أحكامه حكمتهُ ... تجذب الروح العلية بانفراد
نوع الأحكام يبدى كثرة ... أثبتت عداً وقد محت التضاد
بين صوم للتجرد جاذب ... لاقتراب واتصال لا بعاد
فيه نار أحرقت كل السوى ... بل ونور قد يلوح لدى الجهاد
للرياضة وبدؤه الانتهاء ... للفناء عن القصود عن المراد
ثم صومى بعدها عنى به ... جذبة للقدس قد محت ارتداد
صوم تشبيه بملكوت سما ... فيه جاوزت المقام إلى الجواد
صائم لا صائم إن أشرقت ... شمس وحدته تضئ على العباد
لى صلاة فى صيامى مقتضى ... حكمة الإيجاد تنبئ بالرشاد

ميـزت قـدرى بحـصن عبـوديتـى ... وهـــــى روح لى وخمـــــر بل وزاد
لى شهـود حـــال حجـــى وجهتـى ... حـضرة القـدس بلا حجب ابـتعـاد
نـــوع الأحكـــام إظهـــاراً لمـــا ... تقـتـضـيه رتـبـتـــى فى كل واد
أظهـــر الحكم ليـظهـــر حـــاكـماً ... إذ أنـــا العبـد فيـولينـى الـوداد
أثـبـت الحـكـم أنـــا فى دورتـــى ... كـاد يـمحـيهـا شهـودى فى الجهـاد
فى نـــور القـــدس لـــولا حكـمهُ ... ينـمحـى عبـد بـمحـو الاعـتقـاد
حكمـة حـصن الأمـان لـرتبتـى ... أثبت الثـانـى جليـاً لا عنـاد
صرت عبـداً فى عبـودة نـشـأتـى ... وهـو هـو القـاهـر جل بـالانفـراد
حكـمـة عـــدل به جـــذبـــى إلى ... حـضرة الـــزلفـــى إلى غـيـب اتحـاد
وهـــو قـيـــوم حـكـيـم قـــادرٌ ... قـــوم المـبـنـــى فـصرت له مـــراد
والـصـيـــام له وفـيه مـبـــدأٌ ... حيث كـان الـسر غيبـاً غير بـاد
لم يـــصـم أحـــد لغـير الله مـن ... مـبـدأ الـتـكـويـن فى كل العبـاد
كل أنـــواع العـبـــادة أشركـــوا ... غيره فـيهـا سـوى الـصـوم المفـاد
فـهـــــو لله الـعـلى جـــــزاؤهُ ... مـشهـد الـوجه لـدى يـوم المعـاد

* * *

شتان بين الواجب الشرعى ونوال الرضا

الواجب الشرعى عمل العقل الذى إذا قصر عنه لا يكون له حظ فى الدين، ومن حافظ على الواجب فهو مسلم من عامة المسلمين، وبه ينال الجزاء بقدر صدقه فى تأدية الواجب، وإنما ينال مرضاة الله تعالى من لم يقف به العزم على حد الواجب، بل سارع فى القربات، وبادر إلى النوافل بكل أنواعها، فتقرب إلى ربه ببذل كل عظيم من مال وزمان وشرف وشهرة وعلو فى الأرض وعافية وقوة وغير ذلك، بسرور وانشراح ومداومة وتجرد

ومزيد، غير واقف عند ما بذل، بل بيقينه بمقام المتقرب، صغر فى عينه كل قربة وعمل ومال، فكان فى كل نفس يزداد إقبالاً ومسارعة، ويزداد على تحمل العناء والتعب سروراً ونشاطاً، طارحاً كل جزاء وشرف ورفعة فى الدنيا، ومُلك ونعيم فى الآخرة وراء ظهره شوقاً وتمنياً لنوال حظوة أو رضوان من الرب الرءوف الرحيم، وبهذا ينال العبد رضوان ربه: ﴿رَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ الحديد ٢٧، فالواجب واجب لشكر النعم والإقرار بالعبودية، وإنما نوال الرضا لا يكون إلا بأن يرخص فى عينيك كل نفيس فى جانب بذله للقرب ونوال الرضا.

أنواع القرب

القرب قربان: قرب نسب وقرب طلب. فقرب النسب للمصطفين الأخيار، وقرب الطلب للمجتبين الأبرار، فقرب النسب قوامه اليقين ومزاجه العلم، وقرب الطلب قوامه العمل ومزاجه العلم، فإذا كاشفك بحقيقتك التى هى أنت أثبت نسبك، وإذا علمك الأدب له بشرك بحبه لك، وهناك كمال الفصل، وكمال الفصل هو أعلى مقامات الوصل.

وقرب الطلب الذى هو للمجتبين الأبرار، هو أن تسارع أنفسهم إلى محبوب ممدود بقدر همهم، ومتى لم يصفو مشرب التوحيد، حجب الله القوم عن علم أنفسهم، فجهلوا نسبهم الحقيقى الذى يوقعهم فى المثنوية، فينظروا بكمال أنفسهم إلى محبوب هو نهاية ما علموا فى الوجود، فيجعلوا ربهم وسيلة لنيله لأنهم اعتقدوا أنه منفرد بالعطاء والهبة والتفضل، فزهدوا فى الكون لينالوا الجنة، وتورعوا عما فى الدنيا ليتنعموا بنعيم الدار الآخرة، وهذا هو الشرك الأخفى، وقد بينه القرآن جلياً ودعا إليه، لعلمه سبحانه وتعالى بمقادير النفوس التى خلقها وأهلها لما قدره لها، وما الله بظلام للعبيد، والسعيد حقاً من أثبت الله له نسبه به فقال: الله ربىٰ أو ربى الله، فإن قال بوجد: " الله ربى " فهو المتمكن، وإن قال بوجد: " ربى الله " فهو المتلون، وهذه هى أنواع القرب، فقريب من الله تعالى بالعبودة الخالصة، وقريب من الجنة بالزهد والورع لها، وقريب من الحساب للشوب فى الدنيا، وقريب من العقاب للغفلة فيها، وليس من قربه الله منه كمن تقرب إليه بنفسه.

صلاة الله وصلاة العبد

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الأحزاب ٤٢، الصلاة منا شكر على نعماه، واعتراف بألوهيته وعلاه، والصلاة منه سبحانه مزيد فضل فوق فضله بالإيجاد والإمداد بما هو أهل له، لا تقتضيه الحقائق ليخرجنا من ظلمات مقتضيات حقائقنا بفضله العظيم الذى هو أهل له، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ نور ملكوته الأعلى الذى بدأ منه الحقيقة الإنسانية: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ المائدة ٥٤، لا تقتضيه حقائقنا ولا تستحقه، قال رسول الله ﷺ: (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمته).

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ المجادلة ٢٢، وصلاتنا له سبحانه لا تقتضى صلاته علينا، فإن صلاتنا له تفضل منه اقتضاء شكر النعمة ومعرفة النفس، ونعماه لا تحصى، فكيف يقوم بشكرها الخلق أجمعون فضلاً عن واحد منهم؟ ونهاية الشكر العجز عنه، وكما أن صلاتنا له سبحانه وتعالى فضل منه، فصلاته علينا فضل فوق الفضل، وكم لله من فضل على المؤمنين، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الأحزاب ٤٢، من ذاق حلاوة صلاة الله عليه عرف مكانته من الوجود، فعزت مكانته عليه أن تذل لغير الله تعالى، أو أن تقف دون أكمل ما أهل الله الإنسان لنيله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ص ٢٤، صلى عليك بهويته ليجذبك إلى الغيب المصون، فتفر منك وممن سواه وما سواه إلى الغيب، فتحفظ الأدب فى الطلب وتلزم المكنون.

وصلى الله على حبيبه ومصطفاه بأحدية ذاته، لتعلم قدرك فى جنابه ﷺ فتحفظ الأدب فى الطلب، وتلزم هذا الجناب ليسقيك طهور الشراب، وتدوم على المحافظة على الاتباع خوفاً على النفس من الضياع، فإنما صلاته عليك بعد أن وهبك حسن الاتباع له ﷺ، وما دامت الشمس طالعة فالنهار موجود، فأدم إشراق تلك الشمس على جوارحك المجترحة، وعلى قلبك ليجتبيك بحبه، والله ولى المؤمنين. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب ٥٦.

قبلة العارفين حال الصلاة ... وجه مولى منزه عن جهات
وهو قبلة له إذ يصلى ... بحنان عليهو للنجاة
فصلاة له ومنه عليهم ... أخرجتهم فضلاً من الظلمات
وقفوا خاشعين ذلاً فصلوا ... واجهوا الوجه لا من المرآة
من ظلام الأوهام أو قيد عقل ... أخرجتهم للنور مجلى الذات
قبلة العاشقين أين يولون ... وجوههمو فللمشكاة
نور وجه أضاء فى كل شئ ... وله الكل مظهر الآيات
قبلة الواصلين كعبة روح ... فرد ذات العلى فيض الهبات
قبلة السالكين بيت عتيق ... مهبط النور منزل الرحمات
والمعانى جميعها إن أضاءت ... لمراد فذاك عين الحياة

❊ ❊ ❊

الشكر عمل

قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ فصلت ٣٤.

إذا شهدت مقتضيات البشرية منفعلة بنار الإبليسية فى غيرك، فابدأ بأن تشكر الله على ما تفضل به عليك من جمال الأخلاق، وما طهرك منه من مقتضيات حقيقتك، ثم اجتهد أن تزيل الشيطان عن ملكه ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ فصلت ٣٤.

حقيقة الشكر

قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥ﴾ سبأ ١٥.

وحقيقة الشكر ألا تستعين بنعمة الله على معصيته، وأن تستعمل كل عضو فيما خلق له من الطاعات، فتصون الجوارح السبع من المحرمات والمكروهات، لتغلق عنك أبواب جهنم

السبعة ذات الدركات، فإذا استخدمتها فيما خلقت له من العبادات والطاعات بحضور الرئيس وهو مضغة القلب بالإخلاص، فتحت لك أبواب الجنة الثمانية.

فى نعمة الجسم عجزى ثم عن شكرى ... قد صح بعد برهان من الخبر
شكرى له نعمة منه بها روحى ... قد طالبتنى بتمجيد على الشكر
والحمد لله مولى البر والنعمى ... منه له حيث عجزى مقتضى قدرى
لم أحص نعماك عداً كيف أشكرها؟! ... أنت الشكور فزدنى نعمة الخير
أوليتنى النعم العظمى فجدد لى ... مزيدها سيدى فى الحل والسير
أعصى فتمنحنى عفواً وعافية ... أعيب تستر عيبى منك بالستر
أسئ تحسن يا مولاى تغفر لى ... تنيلنى منك خير الجود والغفر
مولاى وفقنى والقلب عمره ... بالحب واشرح لى يا سيدى صدرى
جهلت علمنى ما لم أكن قبلا ... علمته لم أكن يا سيدى أدرى
إليك فاجذبنى بل منك قربنى ... هب لى العطايا ويسر سيدى أمرى

❊ ❊ ❊

نِعم الله والشكر عليها

اشهد نعم الله عليك التى لا تحصى فيما تشهده من كل المرائى، وسارع إلى الشكر عليها ليمنحك المزيد منه، فإذا وجدت فضلاً عظيماً على عبد من عبيد الله لم يمن الله به عليك، فاشكر الله أولاً على أن تفضل به على أهل عصرك، ثم تأدب لله فى ذات المتفضل عليه، لتتشبه به، أو تكون أنت هو اتحاداً وقصداً وميولاً وعملاً، فإنما يشهد الفضل العظيم من أُهل له، واحرص على صغير المكارم كما تحرص على كبيرها، فإن صغيرها قد يحل فى محله فيقابل من الله بخير القبول، فإن العظيم سبحانه إذا قبل أصغر الأعمال فى نظرك، جازى عليها

بأعظم العطايا والمنن، وإنما المراد القبول لا الإقبال، قال ﷺ: (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب).

حصرنا الآلاء فرض مستحيل ... عمم النعمى وقد وضح السبيل
فى السما فى الأرض فى أنفسنا ... يستحيل الحصر قد قام الدليل
اشكرن نفسك عنا سيدى ... أكمل النعمى علينا يا جميل
منك إيجاد العوالم كلها ... منك إمداد زلال السلسبيل
قبل هذا الكون كنت ولم تزل ... وهو فضل منك يا نعم الوكيل
أنت يا نيل ويا أرض ويا سما ... كل ما فيك لآدم والقبيل
والذى أولاه جل جلالهُ ... عز فى قدس النزاهة عن تمثيل
فى غنى الإعظام عن آثاره ... وهى فى ذل اضطرار فى عويل
طمئن قلبى بما تجليه لى ... من يقين فى صفا الظل الظليل
واشرحن صدرى ويسر أمرى ... بالعطا توليه للعبد الذليل
أنبأتنى سيدى الآثار عن ... قدرة عن حكمة الرب الجليل
فى مشيبى فى سقامى واجهن ... عبدك الفانى ووضح لى السبيل
أصلح الأولاد هب فضلاً رضا ... لى وللأولاد إن حان الرحيل

الفصل الخامس

كشف أسرار القدر

المقدر كائن

إذا انبسط لك فكن أنت أنت، وإذا انقبض فانبسط له، وكن أنت به وله، فإن تجليه لم يوجبه جهادك وشهودك، فإنه أعز وأعظم من أن يتجلى لمقتضى عمل أو شهود أو حال ولكن ذلك تقدير العزيز الحكيم، كما أنه جل جلاله لا يرضيه عن خلقه عملهم، ولا يغضبه عليهم عملهم، ولكن نظر إلى قوم بعين الرضا أزلاً فأقامهم فى محابه ومراضيه، ونظر إلى قوم بعين السخط فأقامهم فى مخالفاته ونواهيه.

كراهية الله للشئ

الكراهية بالنسبة لله تعالى لا تتصور إلا بمعنى واحد، وهو أنه جل جلاله لم يرد الشئ تكويناً أمر به سبحانه أو نهى عنه، وبهذا الميزان نزن ما يناسبه من المعانى الإلهية، كالعلم فإنه إذا علم شيئاً أراده وقدره، ولا يعلم سبحانه وتعالى إلا الحق، وقد يريد الشئ تكويناً وهو باطل فلا يعلمه بل يكون تكون ذلك الشئ سبباً لظهور عدله جل جلاله، كما أراد سبحانه أن يظهر بالعدل منتقماً قهاراً لمن جهلوا أنفسهم، وجهلوا الفضل عليهم بمعانى صفات الربوبية، فأسندوها لأنفسهم وهماً وتخيلاً وكذباً على الله تعالى، ونسياناً لحقيقتهم المحسوسة الملموسة، بعد علمهم النشأة الأولى، وبعد تعيين افتتاح وجودهم من ماء مهين فى قرار مكين معلوم، وقتل الإنسان ما أكفره، ومثال ذلك المال والعوافى وتنفيذ الكلمة، فظنوا قدرتهم على إيجاد ملائمهم من حظ وشهوة وانتقام وكبرياء وعلو فى الأرض بغير الحق، فاستدرجهم الله ـ أعاذنا الله من استدراجه ـ فظنوا أن العوافى والمال وتنفيذ الكلمة لهم بذاتهم وأنه دائم، كفرعون وقومه الذين هم أشبه به إلى يوم القيامة، لأنه أول من سنَّ تلك السُنة الشنعاء فاعتقد بقلبه ونطق بلسانه، أعوذ بوجه الله من العمى والعمه، وكل ذلك لا يعلمه الله تعالى، والذى يعلمه الله سبحانه وتعالى أن فرعون عنده ظالم لنفسه، مغرور بما آتاه

الله من الزينة والأموال فضلَّ بها وذل، حتى انتقم الله منه عدلاً قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف ٤٩، فكذلك إذا قدر الله تعالى قدراً أظهره، حتى لو سأله ملايين الأتقياء أن يغيره لم يغيره حتى ينفذ قدره جل جلاله، وتكون الحكمة فى ذلك إظهار عدله وفضله، فإظهار عدله جل جلاله بالانتقام ممن قدر عليهم الظلم لأنفسهم ولعباده، وإظهار فضله لمن وفقهم فصبروا فسلموا الأمر إليه فتوكلوا عليه، ويكون معنى كراهية الشئ أنه لم يقدره، أو انتهاء ظهور ما قدره. والمثال فى ذلك إعطاء الله أوروبا زينة وأموالاً فى الحياة الدنيا ليعجل العقوبة على من غيروا ما بأنفسهم من موجبات إحسانه وفضله، فيفتنهم ويختبرهم بتسليط أعدائه عليهم، ثم يجعل هذا التسليط سبباً قائماً فى رفع من شاء رفعه إلى مقامات القرب بالصبر على القيام بأمر الله تعالى والرضا بقدره، ويكون بلاؤهم هذا طهرة لهم ورفعاً لمقامهم، ويكون بالنسبة لغير أهل الصبر والرضا قهراً لهم ليلتجئوا إلى الله ويرجعوا إليه بعوامل القهر الملجئة إلى الله تعالى، وهذا هو فضله على عباده لأن المصيبة فى الغالب إذا نزلت تعم فتهلك الظلمة فى الدنيا والآخرة، وتؤلم غيرهم فى الدنيا وتنجيهم يوم القيامة، لأنها ترجعهم إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد ١١.

وتغييرهم ما بأنفسهم بقدر الله تعالى، فإنه تعالى إذا أراد الخير لقوم وفقهم وهداهم وأيدهم، وإذا أراد السوء بقوم أضلهم قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ الرعد ١١.

وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ القصص ٥، وليست كراهية الله تعالى الشئ ككراهيتنا له، فإنا نكره الشئ لأنه يؤلمنا أو يضرنا أو يسلب منا بسببه ملائم أو ضرورى أو كمالى، والله تنزه وتعالى عن أن يضره شئ فيكرهه أو ينفعه شئ فيحبه، وكراهيته للشئ أنه لم يقدره جل جلاله، وحبه للشئ أنه أمر به وجعله خيراً لعباده وسبباً لنيل فضله وإحسانه، وليس للعبد فى ذلك حول ولا قوة، فالعبد مظهر لإبراز ما قدره سبحانه، ليظهر الله رباً فاعلاً مختاراً. علم العبد بذلك فرفعه الله بعلمه، أو جهل فأهلكه الله بجهله، والله تعالى لا يعلم إلا الحق، فيعلم أنه رب العالمين، وأن العالمين جميعاً عبيد مقهورون وعباد مربوبون، وخلقهم من العدم بعد أن لم يكونوا، وأبرزهم ليبرز قدره المكنون هداية وضلالة وكفراً وإيماناً، قال تعالى:﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ق ٢٩.

الابتلاء والبلاء

إنما ابتلى سبحانه وتعالى بالخير والشر لإظهار سر القدر، بعد أن وضح النجدين بصحيح الآثار وأكمل المقامات بلاء ليصح عن غيرها الفناء. قال الحبيب الأكبر ﷺ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام ١٦٢، وإن بساط المؤانسة لبلاء، فطوبى لمن تجمل بأدب العبدية عندما يجمله الحق بحلل العندية، والعبد عبد وإن علا وتكمل، والرب رب وإن تفضل وتنزل، وما شرح الله صدر عبد مسلم لله إلا وقد قدر له من الخير ما به علاه، ولا منح عبداً حبة من المحبة إلا وقد سبقت له من الله محبته إياه، وبعنايته سبحانه والاه، ومن شهود جماله أولاه. قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ البقرة ٢٥٧.

مرض الكِبر

عجبت كل العجب لقلب المؤمن المفطور على الخير، كيف يدخل الكبر فيه، وهو يعلم أنه إنسان فقير وعاجز وسيموت! وكيف لا يكون عاجزاً وهو يتألم من قرصة برغوث أو ناموسة، وربما يحمل البرغوث أو الناموسة المرض فالموت، ومن أدرك وفهم رفض أن يدخل الكبر قلبه، ولن يكون ذلك إلا بعلم موهوب أو علم مكتسب برياضة وذكر وفكر، فسارع وجاهد.

السعاية الفاسدة

النفث فى العقد، نَم يقطع الروابط التى تصل الناس بعضهم ببعض بالسعاية، والسعاية فيها معنى الإفساد فى الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ البقرة ٢٠٤-٢٠٦، والصدق يحمد من كل قوم إلا من النمامين، وهذه الفضيلة تنقلب منهم رذيلة، قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة ٦٤، وقال ﷺ: (لا يدخل الجنة قتات)، أى نمام.

وقال ﷺ: (لا يدخل الجنة قاطع) قالوا: ما القاطع؟ قال رسول الله ﷺ: (القاطع ما بين الناس). وفى رواية: إنه قاطع الرحم.

وقد قال أمير المؤمنين عمر بن العزيز رضوان الله عليه وقد رأى طائفة من هؤلاء النمامين الساعين بالشر: (لا مرحباً بالوجوه التى لا ترى إلا فى الشر). وقد قال الله تعالى مقيماً النميمة والسعاية: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزة ١، وقال ﷺ: (ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، المتلمسون للبرآء العيب). وقال ﷺ: (من أشاع عن مسلم كلمة ليشينه بها شانه الله بها يوم القيامة فى النار).

* * *

توالى الغفلة

إذا نسى العبد ربه بتوالى الغفلة والسهو والاشتغال بغيره، عميت عين بصيرته وأطفئت أنوار فكرته، فارتكب كبائر الرذائل وصغيرها من دناءات القبائح الحيوانية والإبليسية، وتحرى أن يأتى كل تلك الرذائل فى غيبة عن الناس متيقناً أنه ليس وراء الناس وراء، فإذا قضى رذائله وتحقق أن أحداً من الخلق لم يطلع عليه فرح وحصل له السرور، معتقداً أنه نال أملاً بلا معاقبة عليه ولا سؤال، وذلك من ظلمة قلبه بسخائف الحظ والهوى. وما يدرى المسكين أن الجبار المتكبر المطلع على ما تخفى الأنفس، وما توسوس به الصدور، وعلى أخفى من ذلك، أحصى ذلك وكتبه عليه، وشهد به عليه أعضاؤه والمكان الذى فعل فيه، ويعجل له العقوبة فى الدنيا. فلو أن الإنسان تأمل بعين فكرته ونظر ببصر العبرة، لعلم أن الذى أبدع الكائنات وصرف الرياح وسخر السحاب وأجرى الأنهار وزين السماوات بالشمس والقمر والنجوم، هو الذى أمر وحكم، وأن المعصية مخالفة لأمره وحكمه، وقد أوعد عليها بالعذاب والحساب. فعليك أيها الجاهل بأيام ربك، والغافل عن مآلك ومرجعك، أن تتوب إلى الله متاباً، وترجع إليه سبحانه نادماً، وتسأله أن يقبل توبتك، ويوفقك للعمل الذى يرضاه منك، إنه يقبل التوبة عن عباده ويغفر الذنوب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لى نـــوايـــا صرفـتهـــا فى الـشرور غـير أنـــى أولـتهـــا بـــالـنـــور
ذا لأنـــى علـمـت ربـــى غـنـيـــاً عـن نـوايـاى بـــالـقـضـــا المقـدور
لى قلـب قـــد اطـمـــأن بـمعـنـــى مـن معـــانـــى جمـــاله المـوفـــور
أفعل الـــذنـب طـــامعـــاً أن ربـــى يـمنح العفـو من الكـريـم غفـور
كـيـف يـــــأســـــى والله حلـيـم أو قـنـوطـى من غـافـر من صبـور
لـــو أراد العـــذاب عجل لـكـن حلم ربـى أحيـا بفـضل ضميرى
نـور تـوحيـده بقلبـى منـير وقبـيح الأعـضـــاء غـير يـسـير
فى القـــرآن المجيـد آيـات بـشرى ﴿يَا عبادِىْ﴾ فـاقـرأ بقلب القـديـر
أعجـزتنـى جـوارحـى عن هـداهـا اهـدنـى سيـدى بفـضل القـديـر
اقبلن تـوبتـى وبـدل ذنـوبـى بجـمال الإحـســـان خير المـصير
أشهـــدنـــى فى مـصر خـيراً وأحـــى بـــى لـيـــالى الإسرا بنـــور النـــور
وانـــشرن بـــى أسرار معـــراج طه واجمع المـسلمـــون بـــالـتقـريـــر
أحـــى شرع المختـار شرقـاً وغـربـاً أظهـــر الـشرع بـــالـسراج المنـير
وعلى سنـــة القـــرآن أمتـنـــى مقعـد الـصدق فـاجعلنه مـصيرى
لى ذنـــوب لم تـيـئـسـنـــى لأنـــى مـطـمـئـن بعفـــو رب قـــديـــر
والـشفـيع المـــرجـــو فى يـــوم هـــولٍ قـــد أراه يـــوم اللقـــاء نـصيرى
يـــا مـــراد الله أنـت شفـيعـــى عظم الـذنب كن حبيبـى ظهيرى
لى تـــشفع عـنـــد الغفـــور وسله غفـــر ذنبـــى كـبيره والـصغير
وعـطـايـا فى دار الـدنيـا تـوالى مـن لـــديه بـــوسعـــة تيـسير
وجمـــال الـــوصـــول فى دار أخـــرى فى ريـاض الـصفـا لـدى الـديهـور
فى جـوار الأنـصـار والـصحب أعطـى رؤيـــة الـــوجه فى كـمال الحـضـــور

الفضيلة لا تتجزأ

قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فاطر ٨.

إن الأمم عندما تضل، فيجمح هواها ويلتاث ضميرها، قد تهجر بعض أوامر الله وتقع فى محارمه سفاهة وتعمداً، وهذا بلا شك طريق الكفران والخسران. وقد حكى الله ذلك عن بنى إسرائيل، ناعياً عليهم تفرقتهم التى جعلتهم ينفذون جزءاً من ميثاق ربهم ويهملون آخر: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ البقرة ٨٤-٨٥.

ولا يعد المؤمن مؤمناً إذا قبل بعض الفروض وجحد بعضها الآخر، أو قرر العمل بجانب من الدين وترك جوانب أخرى، ولاشك فهو فى منزلة الكافرين بالدين كله.

والفضيلة لا تتجزأ؛ فالصدق يكون فى كل الأمور، ومع جميع الناس، وكذلك العدالة والأمانة. ولا يعد امرؤ ما فاضلاً إذا كان أميناً فى بعض الأحوال، وخائناً فى البعض الآخر.

إن استخدام نصوص الشريعة الإسلامية فى تبرير مُحدثات الغرب – فكرية كانت أو اجتماعية – هو شر من تقليد هذه المبادئ تقليداً أعمى، لأن الناس يمكن أن يعيشوا على أمل التخلص من الدخيل إذا قامت فيهم حركة أصيلة للإحياء.

أما فى حالة الاندماج والتفاعل، فإن إدراك الفوارق بين الأصيل والدخيل تدق وتخفى حتى لتكاد تستحيل، لأن الناتج من التفاعل سيكون شيئاً جديداً معقد التركيب، تختلف خصائصه وصفاته عن كل من العنصرين المكونين له، على أن الناس يدركون فى حالة التقليد أن الذى ينقلونه شئ آخر غير الإسلام.

إن الإسلام روح وجسد، إيمان ونظام، عقيدة باطنة تشبه الوقود الذى يحرك الآلات، ثم مجموعة الوصايا والأوامر والنواهى والحدود والشعائر التى تُسير الحياة إلى وجهة معينة، ووفق أسلوب خاص، ويتجه إلى المُثل العليا والسلام والفضيلة والسعادة.

* * *

معارف أهل الطريق

العقل للعبودية لا للإشراف على الربوبية

عجز العقل على أن ينفذ من أقطار السماوات والأرض إلا بسلطان الحجة من الله تعالى على لسان عبد من عبيده، صاغ جوهر نفسه من نور القدس، وجمل مبناه بجمال الاستواء والعصمة، وهم خيرة أولى العزم، لأن العقول إنما خلقها الله تعالى لتقيم الحجة لعباده أو عليهم، بما منحها من التعريف بعلم خواص المادة ودفع المضار وجلب المنافع ليمتاز النوع الإنسانى عن بقية الأنواع السافلة. أما ما فوق المادة مما غاب فى الكائنات علوها وسفلها، ومن الآيات العالية والحكم الغالية والأسرار الخفية، الدالة على أحدية الحق جل جلاله، وعلى تفريده بالإيجاد والإمداد، فهى غيب فى غضون غيب فى آيات فى خواص فى كائنات، والعقل إنما أولى قوة لينوع المادة ويتسلط على خواصها، وليس له أن يتعدى هذا الطور الذى أعده الله له. وما بقى عليه إلا أن يقبل ما جاءت به الرسل، مما هو حُجة مؤيدة بمادة الكون، وما ظهر من الخواص بالتجربة، وعلى هذا فالإنسان من حيث هو، ليس له أن يحكم على ما فوق المادة، وليس للعقل سلطة على هذا العالم.

جوهر النفس

الإيمان بالغيب برهان على صفاء جوهر النفس، والقابل من الله تعالى، والإنكار دليل على أن جوهر النفس من أردأ الجواهر، ولا تقبل عن الله مهما قامت الحجة وأيدتها المعجزة ووضحت المحجة، وأيدها النفع بالقبول والضرر بالإنكار.

الافتراء والظلم

من تعدى الحد، ونظر إلى ما تكرم الله به على خلقه، وأخفى فيه خفى المكر، وأظهر فيه خفى اللطف، وحكم على الله أن له مثيلاً أو نظيراً، أو هو المسيح بن مريم أو شمس أو قمر أو حجر أو مدر، أو أنه صورة أو هيكل، فقد افترى أكبر فرية على الله تعالى، وظلم نفسه ظُلماً عظيماً، قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف ٥٠.

أى أذعنوا له بالعبودية والاستعانة من دون الله تعالى الإله المعبود بصدق، ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ استبدالهم دليل على نهاية الظلم لأنفسهم، ثم قصم ظهورهم بالحجة، فقال جل جلاله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ الكهف ٥١، إشارة إلى إبليس وجنوده، وشياطين الإنس والجن أثبت عداوتهما من ناحيتين:

الناحية الأولى: أنهم لعداوتنا يوسوسون إلينا بالغواية.

الناحية الثانية: يوسوسون إلينا بالميل إلى العاجلة ونسيان يوم القيامة فهم أعداؤنا.

الإشراف على سر القدر

تأويل﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ سر مرتبط بـ ﴿كُن﴾ التى هى من سر القدر، وليس للقوى الإنسانية وإن علت أن تشرف على القدر، حتى يهب الله للإنسان بصراً منه يبصر به ولساناً يتكلم به وسمعاً يسمع به ويداً يبطش بها، وتلك القوى موهوبة من الله تعالى، ويكون إشرافه على الحقائق العالية ليس بإنسانيته، إنما هو بالفضل العظيم الذى يَمن به على كُمل أوليائه.

قف عقل فالأسرار فوق نفوس ... نور على لاح من قدوس

العقل يحكم فى المبانى أدركت ... ما فوقها فالعقل فى تلبيس

العقل روح أسجدت لحقيقة ... فى آدم تخفى على إبليس

لم تشهد الأملاك حكمة خلقه ... إلا بنور فيهمو مغروس
سلم أيا عقلى وسوحى نفختى ... فى عالم الأرواح والتقديس
كى تشرفى حال الصفاء على الضيا ... فى غيب غيب فوق نور شموس
الله أكبر كيف تشهد ظلمة ... غيباً فلا يدرى بكشف مسيس
الغيب فوق العقل والأرواح فى ... شوق إلى راح بغير كؤوس

❊ ❊ ❊

الدنيا والآخرة

كثير من الناس يجهلون حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، فترى كثيراً منهم يتركون العمل فى الدنيا؛ لاعتقادهم الباطل أنها تقطعهم عن الآخرة، وكثير منهم يجهل الآخرة، فيعمل عمل الآخرة لنيل الدنيا. وسبب هذا كله جهل الإنسان بنفسه وبحكمة إيجاده وإمداده، وغفلته عن مبدئه ومعاده. وشر الطائفتين من يعمل عمل الآخرة لنيل الدنيا، لأنه باع أنفس الجواهر بأبخس الأثمان، وأن ليس له إلا ما قدره الله.

الدنيا دار التكليف والتعريف، وهى سوق الربح والخسران، وجد فيها الإنسان لينتقل منها إما إلى نعيم مقيم فى جوار الأطهار، أو إلى الدرك الأسفل من النار، لأن الله خلق الإنسان على صورة الرحمن، وأعده ليكون خليفة عنه، ووهب له العقل لينتفع بما حوله بما هو فى السماوات والأرض، خزن له سبحانه وتعالى كنوز المنافع وخزائن الخير، وأمره أن يعمل لفتح تلك الكنوز وجلب تلك الخيرات، بحركة عقله وجسمه، وأودع تلك الخزائن والكنوز من غيب آياته وجلى بيناته، ما به يتذكر من تذكر ويتقرب إليه من تقرب، وينظر المزارع إلى الأرض سوداء جرداء هابطة هامدة، فينزل الله عليها الماء، ويقوم الإنسان بالعمل اللازم لها، فتهتز الأرض وتربو وتحيا بعد موتها، وتلبس حلة الحياة نضراء خضراء، ولو شاء الله تعالى لجعل كل ذرة من قطرات البحار مرقاً وسمناً وعسلاً، ولكنه خلق الإنسان ليعمل فى الدنيا، ولتظهر له عجائب حكمة الله وغرائب قدرته، فيكون عمله فى الدنيا للآخرة، وقربة إلى الله تعالى، فإذا ترك الإنسان العمل فى الدنيا، فاته من معرفة الله

بقدر ما فاته هو بلا شك من العمل، والعامل بيده فى الدنيا المتعب فيها لتحصيل ضرورياته، الذى يلحظ فى عمله حكمة الله تعالى فى إيجاد الدنيا وسره المكنون فيها من الأدلة والبراهين، فهو مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهذا العامل فى الدنيا يكون مع الله والله تعالى معه، ويكون خليفة عن ربه، لأن الله تعالى أقامه لينفع نفسه وأهله والناس أجمعين، وقطرة عرق فى عمل لنيل ضرورى فى الدنيا خير من الصيام والقيام، وإنما شنع الله على الدنيا، وذمها رسل الله وأولياء الله لا لذاتها، وإنما المراد بهذا التشنيع التشنيع على من أفردها بالقصد، ونسى لقاء الله وحسابه وطلبها من غير وجوهها المباحة شرعاً، وإلا فالدنيا دار رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ومهبط وحى الله تعالى، ومنزل التقرب إلى الله، وفيها الجهاد فى سبيل الله والحج والزكاه والصلة والبر وأنواع القربات، ومن لم يسعد فى الدنيا فينال فيها رضوان الله وإحسانه، كان فى الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ الإسراء ٧٢.

الدنيا

جهل الناس الدنيا، فمنهم من ذمها من حيث تمدح، ومنهم من مدحها من حيث تذم، فترى أهل الغواية يمدحونها ويرغبون فيها، وينافسون فيها منازعة للبقاء ولا بقاء فيها، فيقولون فلان يملك كذا من الأطيان وكذا من الأموال والخيل والعقار، وقد حقر الله الدنيا المذمومة فى قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ آل عمران ١٤، ثم شنع سبحانه وتعالى على من أفردها بالقصد فقال: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ آل عمران ١٤، فمن مدحها من حيث التكاثر والتفاخر بالجاه والمنصب والأموال فهو غوى أو ضال، وهو بين بلايا تتجاذبه وموت يفاجئه أو مرض يؤلمه وكارثة تجتاح ماله، أو عداوة من لا قدرة له عليه، وكل ذلك يؤذن بمفارقة الدنيا أو بزوالها، فأمثال هؤلاء يمدحونها من حيث تذم.

أما من يذمها من حيث تمدح فالجاهلون بحكمة إيجادهم وإمدادهم فيها من أهل

البطالة والكسل، الذين يكرهون العمل للنفع، فيتركون العمل فى الدنيا وفى الدين، فلا هم يشتغلون بتحصيل العلم ولا بتحصيل المال، فإذا احتاجوا إلى المال بذلوا ماء وجوههم أو دينهم، ثم جلسوا يذمون العمال من الصناع والتجار والزراع والعاكفين على طلب العلم، وهذا لجهلهم بحقيقة الدنيا وهى من وجهة العمل للنفع العام من البر والصلة والصدقة والإحسان للفقراء والمعوزين، والحج وإكرام الضيف ومساعدة الغريب ممدوحة، وهنالك مشهد أعلى من هذا وأسمى، وهى أن يشهد الإنسان بعمله فى الدنيا آيات الله الجليلة، فإن كان مزارعاً يشهد آيات الله تعالى بإحياء الأرض بالنبات، وسر إنزال الأمطار وجرى الأنهار وتصريف الرياح وتسخير السحاب وتأثير الشمس على النبات، وإن كان صانعاً يلحظ قدرة الله وما أبدعه فى العقل من الاقتدار على تنويع المادة وتحويلها إلى آلات نافعة وأدوات معينة بمعونته سبحانه وتعالى، وينظر إلى جوارحه المجترحة كيف خلقها الله صالحة لكل الأعمال؟! ثم ينظر إلى المادة وأنواعها من معدن كثير الأنواع صالح للصناعات، ومن غابات تكثر فيها أنواع الأخشاب، ومن مناجم خزن لنا فيها الزيوت النافعة والفحوم المعينة لنا على الصناعات، وإن كان تاجراً لحظ بقلبه حكمة التبادل وسر المعاملة وقدرة الله تيسير المواصلات، فخشعت القلوب لعلام الغيوب وحضر العبد مع ربه، وإن كان عالماً ساحت نفسه الطاهرة فى ملكوت السماوات والأرض، ورجع للعالم أجمع بقوت القلوب وغذاء الأرواح، وبيان آيات الله العظيمة.

الآخرة

الآخرة هى أول منزلة للإنسان، وأول دار حل فيها، وشهد مسراتها وتنعم بملاذها ونعيمها، وبلغ فيها مبلغاً سجدت له الملائكة، ثم أهبط منها وأبعد عنها والشوق القاهر يجذبه إليها، ثم بين الله على ألسنة الرسل أنها داره التى طرد منها ونأى بمعصية صغيرة عنها، فأهبط إلى دار العناء والبلاء ومنزل الوحشة والجفاء، ولابُد له أن يعود إليها، فلماذا لا يتدبر المؤمن حتى يقوى حنينه وشوقه؟! ولماذا لا يتذكر أنه حرم من المسرات الباقية والخيرات المتوالية بسبب معصية واحدة، هى أكله من الشجرة! وقد أيقن أنه لا يعود إلى تلك المسرات، ولا يظفر بتلك الخيرات إذا نسى أنه طرد من دار النعيم المقيم بسبب معصيته،

فارتكب المعاصى فى الدنيا، وكيف يظن عاقل أنه طرد من دار المسرات بمعصية صغيرة ثم يعود إليها بعد ارتكاب الكبائر!

الآخرة دار جوار الله تعالى، ومنزلة الفوز بالبقاء فى المسرات الدائمة والخيرات الباقية، والدنيا معراج الوصول إليها، ودرجة المسلم فى الجنة بقدر عمله فى الدنيا للآخرة، وخير عباد الله عند الله أنفعهم لعباده.

يا قلب فكر ترى الدنيا أباطيلا ... واقرأ أيا قلب قرآناً وتنزيلا
خل الهوى وادكر فاللهو مفسدة ... أقبل على الله تعطى الخير مأمولا
الموت يا قلب إن حققت نازلة ... لم يبق حيا فخل القال والقيلا
والدار دار بلاء إن رضيت بها ... وكيف ترضى بدار البعد مأمولا
دنياك دار بلاء إن رضيت بها ... أقبل على الله تعطى الخير موصولا
الموت عبرة من فازوا بسابقة ... من ربهم لم يروا زوراً وتأويلا
فروا إلى الله من دنيا وآخرة ... لم يشهدوا عمرهم غيراً وتبديلا
أحياهو الحب فى شغل بخالقهم ... حتى به اتصلوا قرباً وتمثيلا

* * *

تزينى لسواى ... فقد دخلت حماى
وغرى غيرى فإنى ... بالنور صار هداى

تم بحمد الله

الفهرس

الفصل الأول

خصوصيات أهل الصفا وآداب أهل الوفا..... ٥

آداب المجالسة مع أهل الصفا..... ٧

أهل الكمال ٧

محاسبة النفس ٨

السالك أعلم بأمراض نفسه ٩

مراتب نفوس السالك والمشتاق والمحب ٩

نهاية الواصلين وكمالات المتمكنين ١٠

المتمكن ١١

مقتضيات البشرية عند أهل التمكين ١١

أهل المحبة وأهل الإنعام ١١

الأنس ١٢

الذكر والذاكر والمذكور ١٢

الذكر فى مقام الأنس ١٢

منازل الذاكرين ١٣

الذاكر هو المذكور ١٤

أنوار العرفان وبوارق الاتحاد ١٥

شتان بين المقام والإلهام ١٥

الدعوة إلى الله بمقدار المدعو لا الداعى ١٥

الفصل الثانى

منح ومشاهدات إخوان أهل الصفا ١٦
الحكمة والحكيم ١٦
تعليم الحكمة ١٧
سر اليدين ١٧
القرب به له سبحانه ١٨
الإقبال ١٩
الفرار من الوجود بصولة الشهود ١٩
المحبة ١٩
ظهور الحق ٢٠
حكمة القلب ٢٠
عيون الروح ٢١
أهل الاجتباء ٢١
أهل اليقين ٢٢
الإخوان ٢٢
حقيقة الأخوة ٢٥
العبد ٢٦
معاملة أهل الصفا ٢٧
أنواع المعاملات ٢٨

الفصل الثالث

مراتب السلوك ومنازل الوصول إلى الله ٢٩

الفتوة وأنواعها ٢٩

أولاً: فتوة البواده ٢٩

ثانياً: فتوة إخوة يوسف ٢٩

ثالثاً: فتوة أهل الكهف ٣٠

الكهف هو الشريعة المطهرة ٣١

الهيكل هو الكهف ٣٢

سر الحكمة فى السلوك والوصول ٣٣

قوى النفوس ٣٤

العناية الأزلية والمشاهد البرزخية ٣٥

دلائل محبة الله وسر القدر ٣٦

دلائل محبة الله ٣٦

سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار ٣٧

سر القدر ٣٨

نار النشأة الأولى ٣٩

الولاية الحقة ٣٩

خير الثواب ٤٠

دلائل التوحيد ٤١

ظهور الظاهر فى المظاهر ٤١

دلائل التوحيد ٤٢
الأمثال طريق تحصيل علم النفس ٤٣
زينة الحقيقة الإنسانية ٤٤
سر المبدئ والمعيد ٤٥
حرمان القابل ٤٦
العلوم اللدنية ـ مجمع البحرين ٤٨
شهود سر القدر ٤٩

الفصل الرابع

العلم والعمل والاعتقادات والعبادات ٥١
العلـــم ٥١
وظيفة العالم فى العالم ٥١
أمثلة العلماء العاملين ٥٢
علوم المعرفة الإلهية ٥٣
الذل والانكسار ٥٤
الإيـــمان ٥٦
الإيمان والعقيدة ٥٨
الجاحد والمؤمن والعارف ٥٨
رهبانية الإسلام ٥٨
الإسلام والمذاهب الأجنبية ٥٩
عظمة الإسلام ٥٩

لباس التقوى ٥٩
العبودة والعبودية والعبادة ٦٠
أنوار العبودية ٦١
مراتب الشهود فى العبادة ٦٢
أسرار العبادة وحكمتها ٦٤
شتان بين الواجب الشرعى ونوال الرضا ٦٥
أنواع القرب ٦٦
صلاة الله وصلاة العبد ٦٧
الشكر عمل ٦٨
حقيقة الشكر ٦٨
نعم الله والشكر عليها ٦٩

الفصل الخامس

كشف أسرار القدر ٧١
المقدر كائن ٧١
كراهية الله للشئ ٧١
الابتلاء والبلاء ٧٣
مرض الكبر ٧٣
السعاية الفاسدة ٧٣
توالى الغفلة ٧٤
الفضيلة لا تتجزأ ٧٦

معـارف أهل الطـريق ٧٧
الـعقل للعبوديـة لا للإشراف على الربـوبية ٧٧
جوهـر النفس ٧٧
الافتراء والـظلم ٧٨
الإشراف على سر القــدر ٧٨
الـدنيـا والآخـرة ٧٩
الـدنيـا ٨٠
الآخـرة ٨١
الفهرس ٨٣